Litho

Ibn Ẓafar. Kitab Sulwan

نسخة كاملة مراجعة

فهرست كتاب سلوان المطاع في عدوان الاتباع لابن ظفر المالكي نفعنا الله تعالى به وهو يتضمن خمس سلوانات

Ibn Zafar

كتاب سلوان المطاع في عدوان
الاتباع تأليف الشيخ الفقيه
محمد بن ابي محمد بن ظفر
المالكي نفعنا الله
به والمسلمين
امين والحمد
لله
وحده

ذكر صاحب المكتبة
الصقلية انه اسمه
[سلوان المطاع
في عدوان الطباع]

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عبد الله الفقير اليه الغني به محمد بن ابي محمد بن ظفر
المالكي عفى الله عنه ان شكر الله سبحانه لأسنى الملابس المفاخرة
وان حمده لأعود بخير الدنيا والآخرة فالحمد لله الذي جعل
الصبر للنجاح ضمينا . والمحبوب في المكروه كمينا الذي ضرب
دون استار سرادق الاقدار حجابا مستورا وقضى
ان الخير على الفطن لايزال حجرا محجورا واوطى المستسلمين
لمشاياه مهودا وثيرا وامطى المتبرمين بقضاياه كنودا
عثورا فقال سبحانه وتعالى فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل
الله فيه خيرا كثيرا وصلى الله على المرسل للناس شاهدا
ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا
سيدنا محمد المصطفى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا
وبعد فان مما افضى بي اليه اضطراب الاغتراب
وانتياب الاكتئاب ان اظفرني الله سبحانه وله الحمد
بمؤاخاة مقيل عثرات السراة السادات ومسيل انفس الحسدة

حسرات

حسرات سائد السادة وقائد القادة ابي عبد الله محمد بن ابي
القاسم بن علي بن علوي القرشي بارك الله له في الخير الذي الهمه
كسبه وكان وليه وحسبه فلقد انزل الدنيا بدار منزلتها
وكوشف بشرك مذلتها فعمل للبقا لا للفنا وجمع للجود
لا للاقتنا وجاد لله لا للثنا وآخى للتعاون على البر
والتقوى لا للتهافت في هوى الهوى وزان الرياسة
بنفس لا تضيق بنازلة ذرعا ولا تصغي للوشاة سمعًا
ولا تدنس بطمع طبعًا وبحلم لا يرفع الغضب اليه رأسًا
وجزم لا تخاف الايالة معه بأسًا فالحمد لله الذي
اباحني من اخائه حمى منيعا وحرما آمنا ومرتعا مريعًا وَوِرْدًا
منيعًا وَوِرْدًا ينيعًا شعر

فنحن بقربه فيما اشتهينا   واحببنا وما اخترنا وشينا
يقينا ما نخاف وان ظننا   به خيرا اراناه يقينا
نميل على جوانبه كأنا   اذا املنا نميل على ابينا
ونغضبه لنخبر حالتيه   فيظهر منهما كرما ولينا

واقسم لولا ان الشكر عقد شرعي وحق مرعي لاقررت
عينه بطي ما نشرت والتورية عما اليه اشرت اذ كان وفقه
الله بعده ولا ابقاني بعده يرى ان الشكر في وجوه الائمة
ندوب والمدح من خواص اوليائه ذنوب فلا زالت
يد التوفيق له ناصره ومكانة العلاء بمفاخره وخطى
الشوائب عنه قاصره ومكادة الاعداء له داخره
آمين آمين وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى الامين وعلى
اله وصحبه الاكرمين وسلم عليه وعليهم في العالمين
اجمعين ولما كانت الهدايا تزرع الحب وتضاعفه
وتعضد الشكر وتساعفه احببت ان اهدي اليه هدية

فائقة رائقة تكون عنده نافقة وبقدره لائقة فلم
اجد لذلك الا العلم الذى شغفه حبا والحكمة التى لم يزل
بها صاحبا صبا والادب الذى استوعبه مولودا
وكسبا واستغمره جلبا وقلبا فاتحفته باساليب
الغايه فى احكام الايه وهو كتاب ضمنته احد عشر اسلوبا
تفضى بسالكها الى العلم بالظاهر والمستنبط من قول الله
سبحانه وتعالى يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة
فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق ثم شفعته بالمنهج
لاستشفاق المعونة والاشراف وهو كتاب استوعبت فيه
مسائل ذينك التاليفين الشريفين مشفوعة بنخب براهينها
وعززتهما بدرر الغرر وهو كتاب انتظمت به درر
انباء نجباء الابناء فاودعته منها ما عز مطلبه وبهرت
حكمته وحسن ادبه ثم ربعت بكتابى هذا وهو كتاب عمدت
فيه الى امثلة استاثرت خواص الملوك ببضاعتها ومنعتهم
الغيرة عليها من اذاعتها فتوسعت فى التعبير بالفاظى
عنها والتخيير بعلى بها والتفنن بقوى فطنتى فيها توسعا
لا يحظره شرع ولا ينبو عنه سمع حتى اذا عادت اهلتها
بدورا رائعة وآضت وديها عما يانعة نفثت فى صورها
ارواح الاصلاب الزكيه وكسوت جسومها حلل الاداب
الملوكيه وتوجت رؤسها بتيجان الهمم الابيه وقلدت
عواتقها سيوف المكايد الحربيه وتصدتها بايات من
التنزيل الحكيم المحكم واحاديث عن المصطفى صلى الله عليه
وسلم الى ما يلى ذلك من منثور الحكم وموزونها وابكار
الاداب وعيونها فبرزت روضة للقلوب والاسماع
ورائضة للعقول والطباع وسميتها سلوان المطاع

في عدوان الاتباع والسلوان جمع سلوانة وهي خرزة تزعم
العرب ان الماء المصبوب عليها اذا شربه المحب سلا
قال الراجز
لواشرب السلوان ماسلوت ما لي غنى عنكم وان غنيت
وهي خمس سلوانات الاولى في التفويض الثانية في التاسي
الثالثة في الصبر الرابعة في الرضى الخامسة في الزهد
وانا ارغب الى الله سبحانه وتعالى في الامداد بالسداد
والارشاد الى نفع العباد فيه الحول والمكنه وذو الطول
والمنه السلوانة الاولى وهي سلوانة التفويض قال الله
ربنا تقدس اسمه وعلا فعسى ان تكرهوا شيأ ويجعل الله
فيه خيرا كثيرا وقال وعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير
لكم وعسى ان تحبوا شيأ وهو شر لكم والله يعلم وانتم
لا تعلمون فاستوقف من عقل امره عز الاقتراح عليه
وافهمهم ما يرضاه من التفويض اليه فالعاقل تارك الاقتراح
على العالم بالصلاح ووجه افهام المندوب الى التفويض
من هاتين الايتين انه اذا كان المكروه قد ياتي بالمحبوب
والمحبوب قد ياتي بالمكروه فالاولى بذي البصيرة ان لا
يامن المضرة بالمسرة ولا ييأس من المسرة بالمضرة فيستخير
الله سبحانه ولا يختار عليه وهذا هو التفويض المستمد
من الله صرف البلاء واللطف في مكروه القضاء وبهذا
عامل الله سبحانه وتعالى مؤمن ال فرعون حين فوض امره
الى الله وذلك ما بلغنا انه كان من ذوي قرابة فرعون
وخواص اصحابه وكان وزراء فرعون وبطانته قد فطنوا
لايمانه واتباعه لموسى عليه السلام فاطلعوا فرعون على
ذلك فلم يصدقهم وعطفه على ذلك المؤمن القرابة

ولما ظهرت ايات الله سبحانه على يد موسى عليه السلام
بحضرة فرعون جمع فرعون بطانته ووزراءه وكان في
جملتهم ذلك المؤمن فشاورهم في امر موسى فاتفق
رأيهم على مطاولة موسى عليه السلام وجمع السحرة
لمقاومته وكان رأى فرعون معاجلة موسى بالقتل وبذلك
اخبر ربنا تقدس اسمه فقال تعالى قالوا ارجئه واخاه
وارسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم وقال
عز من قائل وقال فرعون ذروني اقتل موسى الاية ولما
اطلع وزراء فرعون على رأيه في موسى عليه السلام امسكوا
عن مراجعته هيبة له واشفق ذلك المؤمن من ان يبطش
فرعون بموسى عليه السلام فعيل صبره وضاق بستره صدره
فقال ما اخبر الله به عنه انقتلون رجلا ان يقول ربي
الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ثم كانه استقال وراجع
التقية والحذر والتورية فقال ما اخبر الله به عنه فان
يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي
يعدكم فلما سمع فرعون مقالته غضب وامر به فسجن ثم شاور
بطانته ووزراءه في امره فاشاروا بان يبسط العذاب
عليه ثم يقتله ليرتدع من كان على مثل رأيه فكره فرعون
ذلك وعطفته عليه القرابة وامر وزراءه ان يصيروا
الى ذلك المؤمن ويعظوه وينصحوه ويامروه بمراجعة
ما كان عليه من الطاعة ويخوفوه عاقبة خلافه ففعلوا
ذلك فلما سمع ذلك المؤمن مقالتهم دعاهم الى الله
واذكرهم ما عاينوه من الايات وحذرهم زوال نعمة الله
عنهم وحلول مكره بهم وكان منه اليهم معنى ما اخبر الله
عز وجل عنه من قوله يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب

الاية

الآية وقوله ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد الآية وقوله
ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات الآية وقوله ويا قوم
مالي ادعوكم الى النجاة الى قوله ان الله بصير بالعباد فعاد
القوم الى فرعون واخبروه عن المؤمن بثبوته على المشاققة
والمنابذة والمعصية لفرعون وان النصح لم يزده الا تماديا
على امره فساء ذلك فرعون وشق عليه وخلا بنفسه
مفكرا فيه فأتته ابنته فسألته عن امره فأطلعها عليه فقالت
له ان عندي لك الفرج مما انت فيه فلا تعجل على خاصتك
وذوي قرابتك فانه على ما تحب ولكنه لما رأى ان موسى قد
امتنع بالسلطان الذي في عصاه وان قتله مجاهرة غير ممكن
تظاهر بما انكرته عليه ليخدع بذلك موسى ويتمكن من
مداخلته وقتله غيلة فكلما سمعت ورأيت فانما هو مكر
بموسى ومامنعه ان يطلع وزراءك على ذلك حين ذهبوا
اليه الا انهم اهل نميمة وحسد وبغي لم يطيقوا على مثل
وفائه ونصحه فسر بذلك فرعون والقى الله تعالى عليه في
نفسه تصديقها فيقال ان آسية امرأة فرعون هي التي
امرتها بذلك فأحضر فرعون ذلك المؤمن فاعتذر اليه
واكرمه وقال له قد علمت ما انت قاصد له وساع فيه
فقل ما بدا لك ان تقوله وافعل ما بدا لك ان تفعله فلست
اتهمك قال الله سبحانه وتعالى فوقاه الله سيئات ما مكروا
وحاق بآل فرعون سوء العذاب اي حاق بهم ما ارادوه
بذلك المؤمن من التعذيب وان كان عذاب الآخرة لا يجتمع
مع عذاب الدنيا الا في التسمية وهذا كقوله سبحانه
وتعالى ولا يحيق المكر السيء الا باهله واعلم وفقك الله
واياي ان حقيقة التفويض هو التسليم لامر الحكيم وهو لك

دل الله عليه مصطفاه محمداً صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى
قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل
المؤمنون فأس التفويض والباعث عليه انما هو اعتقاد
انه لا يكون من الخير ولا من الشر الا ما اراد الله كونه ولا
يصح التفويض الا ممن اعتقد ذلك وتدبره وقد بالغ
النبي صلى الله عليه وسلم في التصريح به في قوله لعبد الله
ابن مسعود ليقل همك ما قدر لك يأتيك وما لم يقدر لم
يأتك واعلم ان الخلق لو اجتهدوا ان ينفعوك بشيء لم يكتبه
الله عز وجل لك لم يقدروا على ذلك فقوله صلى الله عليه
وسلم ليقل همك امر بالتفويض وقوله ما قدر يأتيك الى
اخره بيان للعلة التي من اجلها قد فوض العقلاء وسلموا الى
الله عز وجل ونحو ذلك ما رويناه في مسند مسلم ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لابي هريرة في كلام قاله له فان
اصابك شيء فلا تقل لو فعلت كذا كان كذا ولكن قل قدر الله
وما شاء الله فعل فان لو تفتح عمل الشيطان قد له على التفويض
اي التسليم الى امره ونهاه عن قوله لو لما كانت تنافي التفويض
الى الله وتقتضي الاعتراض على قدره والتعاطي لدفع
مشيئته ومما رويناه في صحيح مسلم عن البراء بن عازب
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اخذت مضجعك
فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الايمن ثم
قل اللهم اني اسلمت وجهي اليك وفوضت امري اليك والجأت
ظهري اليك رغبة ورهبة اليك لا ملجأ ولا منجا منك
الا اليك آمنت بكتابك الذي انزلت ونبيك الذي
ارسلت الحديث من الفاظ الحكماء في هذا المعنى اسجاع
وابيات حكمية في التفويض معارضة العليل طبيبه توجب

تعذيبه

تعذيبه انما الكيس الماهر من استسلم فى قبضة القاهر اذا كانت مقالبة القدر مستحيله فمن اعوان نفوذه الحيله اذا التبست الموارد والمصادر ففوض الى الواحد القادر ان من الدلالة على ان الانسان مصروف مغلوب ومدبر مربوبان يتبلد رايه فى بعض الخطوب ويعمى عليه الصواب المطلوب فاذا كان ذلك فان تدميره فى تدبيره واغتياله فى احتياله وهلكته فى حركته قيل كان الحجاج بن يوسف الثقفى اذا تعارضت آراؤه فى خطب من الخطوب انشد

دعها سماوية تجري على قدر لا تفسدنها برأى منك منكوس

وفى ذلك قلت

أيا من يعول فى المشكلات على ما يراه وما دبره *
اذا اشكل الامر فابدأ به الى من يرى منه مالم تره
تكن بين عطف يقيك المخو * ف ولطف يهون ما قدره
اذا كنت تجهل عقبى الامو * ر وما لك حول ولا مقدره
فلم ذا العناء وعلام الاسى ومم الحذار وفيم الشره

وقلت فيه ايضا

يارب مغتبط ومغبوط برأى فيه هلكه
ومنافس فى ملك ما يشقيه فى الدارين ملكه
علم العواقب دونه ستر وليس يرام هتكه
ومعارض الاقدار بالآراء سيئ الحال ضنكه
فكن امرأ محض اليقين وزيف الشبهات سبكه
تفويضه توحيده وعناده المقدور شركه

روضة رائقه ورياضة فائقه

لما بلغ الوليد بن يزيد ابن عبد الملك ان ابن عمه يزيد بن الوليد ابن عبد الملك قد اوغر عليه الصدور وشرد عليه القلوب

واستجاش اليمن عليه ونازعه دار ملكه ساعيًا في هلكه
استوحش من بطانته واحتجب عن سماره فدعا في عشية
من عشايا وحشته خادما له فقال له انطلق متنكرا وقف
بباب الطرق وتامل من يمر بك من الناس فاذا رايت كهلاً
رث الهيئة والملبس يمشي مشيا هوينا وهو مطرق فسلم عليه
وقل له في اذنه ان امير المؤمنين يدعوك فان اسرع الاجابة
فاتني به وان تلكأ او عارض او استراب فدعه واطلب
غيره حتى تاتيني برجل على الشرط الذي ذكرت لك فانطلق
الخادم فاتاه برجل على ما وصف وشرط فلما دخل الكهل على
الوليد بن يزيد حياه بتحية الخلافة وقام فامره الوليد بالدنو
منه والجلوس وامهله الى ان ذهب روعه وسكن جاشه
ثم اقبل عليه فقال له اتحسن مسامرة الخلفاء فقال الكهل
نعم احسنها يا امير المؤمنين فقال له الوليد ان كنت تحسن
المسامرة فاخبرنا عنها ما هي فقال الكهل المسامرة اخبار منصت
وانصات لمخبر ومفاوضة فيما يجب ويليق فقال له الوليد
احسنت ايها الكهل لأزيدك امتحانا فقل ننصت لقولك
فقال الكهل يا امير المؤمنين ان المسامرة صنفان لا ثالث
لهما احدهما اخبار بما يوافق خبرا مسموعا والثاني اخبار
بما يوافق غرضا مقترحا واني لم اسمع بحضرة امير المؤمنين
حديثا فاحذو على مثاله ولا اقترح على امير المؤمنين سلوك
طريقة فانحو نحوها والزم اسلوبها فقال له الوليد
صدقت وها نحن نقترح عليك ونرسم لك رسما لتقتفيه
انا بلغنا ان رجلا من رعيتنا سعى فيما يصم ملكنا فاز سعيه
وشق علينا ذلك وبلغ منا مبلغا عظيما فهل نمى ذلك اليك
فقال الكهل نعم فقال له الوليد قل الآن على حسب ما نمى اليك

منه وعلى حسب ماترضى من التدبير فيه فقال الكهل يا امير
المؤمنين بلغني ان امير المؤمنين عبد الملك بن مروان لما
ندب الناس لقتال عبد الله بن الزبير وخرج بهم متوجها
الى مكة حرسها الله تعالى استصحب عمرو بن سعيد بن
العاص وكان عمرو بن سعيد قد انطوى على دغل نية
وفساد طوية وطماعية في نيل الخلافة وكان امير المؤمنين
عبد الملك بن مروان قد فطن لذلك الا انه كان يبقي عليه
لتأكيد حرمته وصلة رحمه فلما فصل امير المؤمنين عن
دمشق وسار عنها اياما واستمر به السير تمارض عمرو
ابن سعيد فاستأذن امير المؤمنين عبد الملك في العود الى
دمشق فاذن له فلما دخل عمرو بن سعيد الى دمشق صعد
المنبر فخطب الناس خطبة نال فيها من الخليفة ودعا الناس
الى خلعه فاجابوه الى ذلك وبايعوه فاستولى على دمشق
وحصن سورها وحمى حوزتها وسد ثغورها وبذل
الرغائب فبلغ ذلك عبد الملك بن مروان وهو متوجه الى
ابن الزبير وبلغه مع ذلك ان النعمان والي حمص قد نزع
يده من الطاعة وان اهل الثغور قد تشوفوا للخلاف
فخرج على وزرائه وبيده مخصرة يضرب بها عطفه
فاطلعهم على ما بلغه وقال لهم هذه دمشق دار ملككا قد
استولى عليها عمرو بن سعيد وهذا عبد الله بن الزبير
قد استولى على الحجاز وعلى العراق ومصر واليمن وخراسان
وهذا النعمان بن بشير امير حمص وزفر بن الحارث امير
قنسرين ونائل بن قيس امير فلسطين قد نزعوا ايديهم
من الطاعة وبايعوا الناس لابن الزبير وقد تشوف اهل
الثغور للخلاف وهذه المضربة سيوفها على عواتقنا تطالبنا

بقتلي المزح فلما سمع وتراؤه مقالته ذهلت عقولهم
وعلموا ان لا مقر ولا مفر فنكسوا رؤسهم ولم ينطقوا
فقال لهم عبد الملك مالكم لا تنطقون احضر وفي غناء كم
هذا وقت الحاجة اليكم فقال له افضلهم اى غناء عندنا
في هذا الوقت وددت والله ان اكون حرباء على عود
من اشجار تهامة حتى تنقضي هذه الفتن قال الشيخ الامام
حجة الدين ابو هاشم محمد بن ظفر عفى الله عنه الحرباء دابة
صغيرة طولها اقل من شبر لها قوائم اربع وراسها تشبه
راس العجل اذا طلعت عليها الشمس قامت على عود او جرثومة
او حجر ثم استقبلت الشمس بعينها وجعلت تراعيها ولا
تصرف عنها بصرها حتى تستوي الشمس في اعلى فلكها
فتصير على راس الحرباء فلا يمكنها النظر الى الشمس فتقلق
وتضرب بلسانها حنكها كما يفعل من يسوفي حمارا فلا تزال
كذلك حتى تزول الشمس فتستدير الحرباء فتقابلها ببصرها
وتراعيها كذلك حتى تغيب الشمس في مغربها واذا غربت
ذهبت الحرباء تبتغي ما تأكله طول ليلتها حتى اذا طلعت
الشمس عادت الى فعلها فتمنى هذا الرجل ان يكون حرباء
فرارا من تلك الفتن قال الكهل فلما سمع عبد الملك مقالة
صاحبه علم ان لا غناء عند وزرائه فقام عنهم وامرهم
بلزوم مواضعهم وركب من ساعته منفردا وامر جماعة
كثيفة من شجعان اصحابه وفرسانهم ان يركبوا بالسلاح
ويتبعوه متباعدين منه بحيث يرون اشارته اذا اشار
اليهم ففعلوا وركب عبد الملك واتبعه القوم على ما رسم
لهم فلم يزل سائرا حتى انتهى الى شيخ كبير السن ضعيف الجسم
سيئ الحال وهو يجمع السماق فسلم عليه عبد الملك وآنسه بحديث

خفيف ثم قال له ايها الشيخ الك علم بمنزل هذا العسكر فقال
الشيخ بلغني انهم نزلوا بموضع كذا فقال له عبد الملك هل
سمعت شيئا مما يقول الناس في امره فقال الشيخ ما سؤالك
عنه فقال عبد الملك اني اردت اللحاق به والدخول عليه في
اصحابه والتعرض للحظوة عنده فقال الشيخ ما معناه اني
اراك اديبا وضيا وحسيبا سريا فهل تحب ان انصح لك
فيما انت قاصده فقال له عبد الملك ما احوجني الى ما تقول
فقال له الشيخ انه ينبغي لك ان تصرف نفسك عن هذا الذي
ترغب اليه فان الامير الذي انت قاصده قد اغلت عرى
ملكه ونابذه اتباعه واضطربت اموره وان السلطان
في حال اضطراب اموره كالبحر في حال هيجانه لا ينبغي ان تقرب
فقال عبد الملك ايها الشيخ ان الحنكة لم تبلغ بي مغالبة نفسي
في كل ما نزعت اليه واني اجدها تنزع الى صحبة هذا الامير
نزاعا شديدا ولا بد لي من ذلك فهل لك ان تحسن الي
فتخبرني بما تراه من الراي لهذا الامير في تدبيره هذه الخطوب
التي دهمته لاني لا استغني عن مشورتك لحسن هيئتك
وسمتك ورايك لاعرض ذلك الراي عليه والفق به عنده
فلعله ان يكون سببا لقربي منه فقال الشيخ ان حكمة الله
وعزته ليقضيان بحجب العقول والاراء عن النفوذ في بعض
النوازل واني لاظن هذه النازلة التي بها الخليفة من النوازل
التي لا تنفذ فيها العقول ولا تهتدي فيها الى الصواب واني
اكره ان ارد مسالتك بالخيبة فها انا اقول فيما سالتني
عنه قولا اقضي به حق رغبتك وان كنت لا اثق بنفسي فيه
لان الخطب عظيم جدا والخطر فيه يضاهي عظمه فقال له
عبد الملك قل جزاك الله خيرا فاني لارجو ان يسدد ك الله

ويرشدك ويرشدني بك الى الفلاح فقال الشيخ ان هذا
الخليفة قد خرج لمحاربة عدوه فظهر من مشيئة الله سبحانه
وتعالى انه لا يريد ما قصد له والدليل على ان الله لم يرد
قصده لمحاربة ابن الزبير انه قطعه عن التمادي بما احدثه
في دار ملكه من وثوب عمرو بن سعيد على منبره واستفساده
لرعيته واستيلائه على بيوت امواله وسرير خلافته واني
مشير عليك بتفقد حال هذا الامير وانتظار ما يكون
منه فان رايته قد تمادى فيما خرج له واصر على قصد ابن
الزبير فاعلم انه مخذول فاجتنبه وانما كان مخذولا لان الله
سبحانه وتعالى قد اظهر في حكمه امرا يقطعه عن التمادي
لما خرج له فابى الانجاح وان رأيته قد رجع من حيث جاء
وترك ما كان قصد له وخرج اليه فارج له السلامة لانه
مستقيل مراجع والله سبحانه وتعالى اهل ان يقيل من استقاله
ويرحم من يرجع اليه فقال له عبد الملك يا شيخ وهل رجوعه
الى دمشق الا كسيره الى ابن الزبير اذ كان قد ظهر من
حكمة الله ومشيئته ان قبض عليه قلوب رعيته الذين
بدمشق عن موالاته وبسط ايديهم بالبيعة لغيره فمسيره
لابن الزبير كرجوعه الى عمرو بن سعيد لان كل واحد منهما
حاصل على مملكة منيعة ورعية مطيعة فقال له الشيخ
ان الذي اشكل عليك لواضح بين وها انا أزيل اللبس عنك
ان عبد الملك اذا قصد ابن الزبير كان في صورة ظالم له لان
ابن الزبير لم يعطه طاعة قط ولا وثب له على مملكة وهو
اذا قصد عمرو بن سعيد كان في صورة مظلوم لان عمرو
ابن سعيد نكث بيعته وخان امانته وافسد رعيته وحملهم
على النكث والغدر ووثب على دار ملك لم تكن له ولا لابيه

بل كانت

بل كانت لعبد الملك ولابيه من قبله وعمرو بن سعيد عليها
معتمد ولها مغتصب وانه كان يقال سمين الغصب مهزول
وولي الغدر معزول وكان يقال جيش العدوان مغلول
وعرش الطغيان مثلول وساضرب لك مثلا يشفي النفس
وينفي اللبس واودعه من فقر الحكم ما يشحذ الفطن والالباب
ويسفر عن وجه الصواب زعموا ان ثعلبا كان يدعى ظالما
وكان له جحر يأوي اليه وكان مغتبطا به لا يبغي عنه حولا
فخرج يوما يبتغي ما يأكل ثم رجع فوجد فيه حية فانتظر
خروجها فلم تخرج وعلم انها قد اوطنته وذلك ان الحية
لا تتخذ جحرا بل تدخل الجحرة التي لغيرها فتغصبها وتطرد عنها
ما كان فيها من الحيوان قال بعضهم يصف رجلا بالظلم
وانت كالأفعى التي لا تحتفر حتى تجي سارده فتجتحر
ولذلك يقال فلان اظلم من حية فهذا اظلمها ولما راى
ظالم ان الحية قد اوطنت جحره ولم يمكنه السكون معها
ذهب يطلب لنفسه ماوى فانتهى به الطواف الى جحر
حسن الظاهر مليح الموضع في ارض حصينة ذات اشجار
ملتفة وماء معين فاعجبه وسال عنه فاخبران ذلك
الجحر لثعلب يسمى مفوضا وانه ورثه عن أبيه فناداه ظالم
فخرج اليه ورحب به وادخله الجحر وساله عما قصده له
فقص عليه القصة وشكى اليه ما ناله فرق له مفوض
واقبل عليه فقال له ان من الهمة ان لا تقصر عن مطالبة
عدوك وان تستفرغ جهدك في ابتغاء دفعه وهلكه وا ...
كان يقال من تهيب عدوه فقد جهز الى نفسه جيشا وكان
يقال رب حيله انفع من قبيله وكان يقال الموت في طلب
النار خير من الحياة في العار وكان يقال اذا طاليت

عدوك بالقوة فلا تقدمن عليه حتى تعلم ضعفه عنك
واذا طالبته بالمكيدة فلا يعظمن امره عندك وان كان
عظيماً والراى عندى ان تنطلق معى الى ماوا الذى انتزع
منك غصباً حتى اطلع عليه فلعلى اهتدى الى وجه مكيدة
فى تمكينك منه فان افضل الراى ما اسس على الروية
فلهذا قيل يفسد التدبير ثلاثة اسباب احدها ان يكثر
الشركاء فيه فاذا كان ذلك انتشر التدبير فيه وبطل
والثانى ان يكون الشركاء فى التدبير متحاسدين متنافسين
فيدخله الهوى والبغى فيفسد والثالث ان يملك التدبير
من غاب عن الامر المدبر دون من باشره وشاهده فاذا
كان ذلك دخله حقد المباشر الحاضر وفوت الغرض
ثم ان تدبير المسموعات مؤسس على ظنون الخير وتدبير
المبصرات مؤسس على يعين النظر فانطلقا معا الى ذلك
الجحر فتأمله مفوض وعلم ما اراد علمه من امره ثم اقبل على
ظالم فقال له قد شاهدت من امر مسكنك ما فتح لى باب
المكيدة وسفرلى عن وجه الراى فيه فقال له ظالم اطلعنى
على ما ظهر لك فقال مفوض انى اضعف الراى ما سنح
فى البديهة وكان يقال الراى مرآة العقل فمن اردت
ان ترى صورة عقله فاستشره وكان يقال افضل الراى
ما اجادت الفكرة نقده واحكمت الروية عقده وكان
يقال الراى سيف العقل ولما كان امضى السيوف ما يولغ
فى ارهاف حده واجيد صقله كان انجح الاراء ما كثر
امتحانه واطيل تامله وكان يقال كل راى لم تتمخض به الفكرة
ليلة كاملة فهو مولود لغير تمام ثم قال انطلق الليلة معى
فبت عندى لانظر ليلتى هذه فيما سنح لى من المكيدة

ففعلا وبات مفوض مفكرا فى ذلك وجعل ظالم يتأمل مسكن
مفوض فرأى من سعته وطيب تربته وحسانه وكثرة
مرافقه ما اشتد له اعجابه وحرصه عليه وطفق يدبر
الحيلة فى غصبه ونفى مفوض عنه وكان يقال اللئيم
كالنار اكرامها اضرامها وكالحمز جيبها سلبها وتبيعها
صرعتها وكان يقال العاقل يقدم التجريب على التقريب
والاختبار على الاختيار والثقة على الثقة وكان يقال
اذا كانت الاساءة طبعا لم يملك لها الانسان دفعا فلما
اصبحا قال مفوض لظالم انى رأيت ذلك الجحر بعيدا عن الشجر
والخضر فاصرف نفسك عنه وهلم اعينك على احتفار
مسكن بهذا المكان المتيسر الموافق فقال له ظالم ان ذلك
لا يمكنني فان نفسي تهلك لبعد الوطن حنينا ولا تملك مع
فقد السكن سكونا وانه كان يقال دلائل الوفاء سبع
بر الاباء والامهات وصلة ذوى القرابات والنزاع الى
الوطن والجزع لفقد السكن والحزن لاخلاق الشباب
واللبس لاخلاق الثياب والصبر على هرم الدواب وكان
يقال الغريب ميت الاحياء قد اعاده البين اثرا بعد عين
وقيل ان حروف الغربة مجموعة من اسماء دالة على معنى
الغربة فالغين من غدر وغيبة وغبن وغم وغلة وهي
حرارة الحزن وغرم وغول وهى كل مهلكة والراء من رزء
وروع ورعب ورتق وردع وردى وهو الهلاك
والباء من برح وبوار وبؤس وبعد وبين والهاء من
هون وهول وهلك فلما سمع مفوض كلامه وما تظاهر
منه من الرغبة فى وطنه قال له انى ارى ان نذهب
يومنا هذا فنحتطب حطبا ونربطه حزمتين واذا اقبل الليل

انطلقت انا الى بعض هذه الخيام واخذت قبس نار واحتملنا
الحطب والقبس وقصدنا الى مسكنك وجعلنا الحزمتين
على بابه واضرمنا هما نارا فان خرجت الحية احترقت وان
لزمت الجحر اهلكها الدخان فقال ظالم نعم الرأى هذا فانطلقا
واحتطبا حطبا وربطاه حزمتين بقدر ما يطيقان حمله ولما
جاء الليل واوقد اهل الخيام النار انطلق مفوض ليأخذ
قبسا فعمد ظالم الى احد الحزمتين فازالها الى موضع غيبها
فيه ثم جر الحزمة الاخرى الى باب مسكن مفوض ثم دخله
وجذبها اليه فادخلها فى الباب وسده بها وقدر فى نفسه
ان مفوضا اذا اتى الجحر لم يمكنه الدخول اليه لحصانته
ولان بابه مسدود بالحطب سدا محكما فاكثر ما يقدر عليه
ان يحاصره فاذا يئس منه ذهب فنظر لنفسه ماوى وقد
كان ظالم رأى فى جحر مفوض طعمة ادخرها مفوض لنفسه
فعول ظالم على الاقتيات منها فى مدة الحصار واذهله الشره
والحرص والبغى عن فساد هذا الرأى وانه متعرض لمثل
ما عزم مفوض انه يفعله بالحية وكان يقال احترس
من تدبيرك على عدوك كاحتراسك من تدبيره عليك فرب
هالك بما دبّر ومكر وساقط فى البئر التى احتفر وجريح
بالسلاح الذى شهر ثم ان مفوضا جاء بالقبس فلم يجد
ظالما ولا وجد الحطب فظن ان ظالما قد احتمل الحطب يعنى
الحزمتين معا تخفيفا عنه وانه بادر بهما نحو جحره اشفاقا
ان ياتى مفوض فيحمل احداهما فشق ذلك عليه فظهر له من
الرأى ان يترك القبس ويبادر اليه فيلحقه ليحتمل معه الحطب
فالقى القبس من يده ثم كره ان تنفذه الريح فيحتاج الى طلب
قبس اخر فادخله فى باب الجحر ليستره بذلك فاصاب الحطب

فاضرمه نارًا واحترق ظالم في جحره وحاق به مكره فلمّا
اطلع مفوض على امر ظالم قال ما رأيت كالبغي سلاحا اكثر
عمله في محتمله ولهذا قيل الباغي باحث عن مدية حتفه
بظلفه ومتردٍ في مهاوي تدميره بمساوي تدبيره وقيل
ما اجتمع الملك والبغي على سرير الاخلا وقيل لكل عاثر راحم
الا الباغي فان القلوب مطبقة على الشماتة بمصرعه وقيل
ما اعطى البغي احدا شيئا الا اخذ منه اضعافه ثم ان مفوضا
امهل حتى طفئت النار فدخل جحره فاستخرج جيفة ظالم فالقاها
واوطن جحره على حال تحفظ واحتراس واستعداد لكيد
الكائدين فهذا مثل عمرو بن سعيد في بغيه ومخادعته عبد
الملك ومخالفته الى دار ملكه وتحصينه فيها وقد كان عبد
الملك في مخرجه الى محاربة ابن الزبير عاملا فيما يريد به
عن عمرو بن سعيد وبقاء الملك في اهل بيته وخروجه عن
ابن الزبير اذ كان عز عبد الملك عزا لعمرو بن سعيد وملكه
ملكا له فلم يرض عمرو سعيه ولا اعانه على مصلحة نفسه وفعل
كفعل ظالم مع مفوض سواء فلما سمع عبد الملك ما ضربه الشيخ
من المثل واستبصر ما أودعه من الحكم سُرّ بذلك سُرورًا
شديدًا ثم اقبل على الشيخ فقال جزيت خيرا فقد عظمت يدك
عندي واني لأوثر ان تجعل بيني وبينك موعدا وتذكر لي
مكانك لالقاك به بعد يومي هذا فقال له الشيخ وما الذي
تريد بذلك فقال عبد الملك اني أؤمل ان انتفع برأيك
عند الامير فاكافئك على ما كان منك فقال الشيخ اني اعطيت
الله عهدا ان لا احمل منة بخيل فقال له عبد الملك ومن
اين علمت بخلي فقال الشيخ كيف لا اعلم بخلك وقد ارجأت
صلتي ومكافاتي مع القدرة على تعجيلها وما عليك لو وصلتني

ببعض ما أرى عليك من السلاح والبزة السنية فقال له
عبد الملك اقسم بالله لقد ذهلت ثم نزع سيفه وقال اقبل
مني سيفي هذا ولا تجزع عنه فان قيمته عشرون الف درهم
فقال الشيخ اني لا أقبل صلة ذاهل فدعني وربي الذي
لا يجهل ولا يذهل فهو حسبي فلما سمع عبد الملك مقالته علم فضله
ودينه وقال له اني انا عبد الملك فاعتمدني وارفع الي حوائجك
فقال الشيخ وانا ايضا عبد الملك فهلم نرفع حوائجنا الى من أنا
وانت له عبدان وانطلق عبد الملك وعمل برأي الشيخ فانجح فلما
سمع الوليد ما اخبره به ذلك الكهل استرجح عقله واستظرف
أدبه وسأله عن نفسه فتسمى له وانتسب فلم يعرفه الوليد
فاستحى منه فقال له ان من جهل مثلك من رعيته لمضيع
فقال له الكهل يا أمير المؤمنين ان الملوك لا تعرف الا من تعرف
اليها ولزم ابوابها فقال الوليد كلا والله فلا نوسعنا عذرا
لا نستحقه ثم امر له بصلة معجلة وعهد اليه في ملازمة بابه
عهدا فكان يستمع من أدبه وحكمته الى ان كان من امر الوليد
ما هو مشهور

* روضة رائقه ورياضة فائقه *

قيل لما عزم امير المؤمنين محمد الأمين على اخراج عهد الخلافة
من اخيه عبد الله المأمون والمأمون اذ ذاك مقيم بخراسان
كتب اليه الأمين كتابا يذكر فيه حاجته الى القائد ووفاء ضمنه
في مهم حدث ويسأله ان يستنيب بخراسان من يضبطها
ويعجل الشخوص الى بغداد وكتب الى المأمون عيونه الذين
ببغداد ان الامين يريد خلعه من عهد الخلافة ونقل عهده
الى موسى بن محمد الأمين فلما وقف المأمون على ما كتب
به اخوه وعيونه اليه شاور وزراءه فاشاروا عليه

بالتثبت والتعلل والاعتذار بشعب خراسان وتطلع من يليها من الكفار الى الفرصة فيها وانه لا يجد من يثق اليه بكفاية لامرها فكتب المأمون الى الامين بذلك فعاوده الامين بمكاتبته وانه لو قدم عليه لقل لبثه ببغداد حتى يرجع وانما يريده في مفاوضة في خطب جسيم لا تودع بمثله الكتب فحين انتهى كتابه الى المأمون اطلع عليه وزراءه واستشارهم فاشاروا عليه بمثل رأيهم الاول فكتب الى الامين بنحو ما كتب به اولا وكتب الى الامين عيونه بخراسان ان المأمون قد فطن لما يراد منه وانه ممتنع مشاقق وان وزراءه اجمعوا على مثل رأيه بالامتناع فيئس الامين من تمام مكيدته لاخيه وامر بالقبض على من ببغداد من حشم المأمون وحرمه وبطانته وما ظهر عليه من امواله وبلغ ذلك المأمون فخامره الجزع وشاور وزراءه فثبتوه على رأيهم وحرضوه على التثبت وانتظار الفرج ففعل ولما رأى الامين اصرار اخيه المأمون على الامتناع دعا الناس الى البيعة لابنه موسى وهو طفل فاجابوه الى ذلك وبايعوه له وسماه الناطق بالحق واستكفل له علي بن عيسى بن ماهان فجعله في حجره وكان علي بن عيسى بن ماهان قد ولي خراسان قبل ذلك مدة طويلة فاصطنع بها الرجال واعتقل المنن في الاعناق وكان شأنه بخراسان عظيما فاستشاره الامين في امر خراسان فضمن له امرها وانه لو بلغ خراسان لم يختلف عليه اثنان ممن بها فجهزه الامين اليها وولاه كل بلد تغلب عليه واعطاه اموالا جزيلة وجهز معه جمهور جنوده واصحبه من السلاح والكراع ما شاء وبلغ ذلك المأمون فاضطرب امره وعلم عجزه عن مقاومة علي بن عيسى فركب الى متنزه له ليناظر وزراءه في تدبير امره

فعارضه شيخ هرم من الفرس مجوسي فناداه بالفارسية
مستغيثا به من مظلمة نالته فلما نظر المأمون الى هرمه رق
له وامر بأن يحمل على دابة ويتبع به الى الموضع الذي قصده
ويدخل عليه بغير استئذان ولما استقر المأمون ووزراؤه بذلك الموضع
الذى قصد واله ادخل عليه الشيخ الفارسى فامره بالجلوس
في حاشية المجلس ثم اقبل على صحابته فأخبرهم بما صنعه
اخوه الامين من القبض على حاشيته وماله وتجهيزه على
ابن عيسى وهو يظن أن الشيخ لا يعرف اللسان العربي وان ما به
من الهم شاغل عن الاصغاء الى ما هم فيه مع ما حمله على
ذلك من القلق والاضطراب فلما راى القوم ان المأمون
لم يتحفظ من الشيخ تفاوضوا فيما جلسوا له وطالت مناظرتهم
الى ان قال احدهم الرأى اصطناع اقوام من الاعتام الذين
لا يعرفون على بن عيسى فيلقى بهم وقال غيره الرأى ان نبادر
بالارسال الى الامين نطلب منه الصفح وبذل الانقياد
لامره فانه يرى ذلك حظا وقال غيره الرأى ان نلجأ الى
بعض المعاقل فنعتصم به وننتظر الفرج وقال غيره الرأى
ان نجمع اهل النجدة فنزيح عللهم ثم نقصد بهم بعض هذه الممالك
المجاورة لنا من ممالك الكفار فنصدقهم القتال ولعل الله
سبحانه ان يظفرنا فنصير الى مملكة تأوينا وينزع الينا من هو
على مثل رأينا فنمتنع ونجاهد في سبيل الله حتى يقضي الله امره
وقال غيره الرأى عندى ايها الامير ان تنحاز الى ملك الترك
مستجيرا به ومستعينا على اخيك الغادر القاطع فهذا امر لم
تزل الملوك تفعله اذا دهمها من لا قبل لها به فلما سمع المأمون
هذه المقالة ركن اليها وعول على هذا الرأى ثم افكر فقال
كيف اجعل للترك على حرب المومنين سبيلا وقال لاصحابه

قوموا عني فنهضوا اجمعون والتفت فرأى الشيخ الفارسي فقربه
ورفق به وسأله عن امره وما قصد له على لسان ترجمان
اقامه له فقال الشيخ بلسان عربي ايها الامير اني جئت لحاجة
فعرض لي دونها ما هو آكد منها واولى بالعناية فقال له
المأمون قل ما احببت سالكا سبيل الادب فقال الشيخ ايها
الامير اني دخلت عليك وانا غير متصف بالمحبة لك ثم قد
القى الله في قلبي من المحبة للامير ما ملأه وانه كان يقال الرق
ثلاثة انواع فاولها واشدها استيعابا للباطن والظاهر
رق الاختراع وهو الرق لله سبحانه صانع الاشيا ومخترعها
والثاني رق الاصطناع وهو رق المنعم على المنعم الثالث
رق الاتباع وهو صنفان احدهما رق الحب وهو اقربها الى
رق الاختراع لان له سلطانا مبسوطا على الظاهر والباطن
والثاني رق الرعية لراعيها ورق العبيد لساداتها وانا
اخبر الامير اعزه الله انه قد تظافرت له على ثلاث قوى
من الرق رق الحب ورق الاصطناع ورق الاتباع وان رأى
الامير اعزه الله ان يوصل وسيلتي ويصدق املي ويسعف
طلبتي فيلحقني بذاته اختصاصه ويكرمني بمكاثرة اوليائه
ونصحائه فعل ذلك متطولا به غير محتاج اليه وان عبده لير جو
ان تصادف الصنيعة منه شاكرا والاختصاص منه مشفقا
ناصحا فقال له المأمون ما دينك ايها الشيخ فقال مجوسي فاطرق
المأمون مفكرا فيما تكلم به فقال الشيخ لا تصدن الامير عني
حقارة قدري فانه كان يقال لا تحقرن من الاتباع احدا
فانك تنتفع به كائنا من كان وهو احد رجلين اما شريف
فيتجمل به او وضيع فيحمي عرضك ويصون مروءتك وعلى اني
لست اعني بحقارة قدري عند الامير حقارة اخلاق ولا

حقارة أعراق فأما اخلاقي فامتحانها بيد الامير واما اعرافي فاني برهمي من ولد البرهمي سيد ملوك الفرس المتوسط بينها وبين اول الاوائل وانما اعني حقارة ديني عند الامير وكوني في عقد ذمة وصغار جزية فقال له المأمون ما ابعدك ايها الشيخ من رغبة فان انتقلت من ذمتنا الى ملتنا اتحفناك شعارا فقال الشيخ ان الباعث من نفسي الى ما دعاني اليه الامير لشديد ولكني لا افعله في مقامي هذا ولعلي ان افعله فيما بعده ثم قال أيأذن لي الامير ان أتكلم فيما فاوض الان وزراءه فيه فقال له المأمون تكلم فقال الشيخ قد سمعت ما أشار به وزراء الامير وكل منهم مجتهد في الاصابة ولست ارضى شيئا مما ذهبوا اليه فقال له المأمون اطلعنا على رأيك فقال الشيخ اني اجد في الحكم التي ورثتها اباؤك عن ابائهم انه ينبغي للعاقل اذا دهمه ما لا قبل له به ان يلزم التسليم لحكم قاسم الحظوظ ولا يضيع مع ذلك نصيبه من الدفاع بحسب طاقته فانه ان لم يحصل على الظفر حصل على العذر فقال المأمون ايها الشيخ انه كان يقال لا رأي لكذوب وقد سمحت انفسنا لك بالثقة من غير امتحان وما ذاك لاختيارنا اضاعة الحزم ولكنا احببنا ان نذيقك ثمرة حبنا بالمكاشفة الدالة على القبول وها نحن نخبرك ان هذا المتوجه الينا يعني علي بن عيسى هو املك بالبلد منا ثم لا يمكننا مقاومته لو اردنا ذلك لتقدر الاموال قبلنا فقال الشيخ ايها الامير ينبغي ان تمحو هذا الامر من قلبك بالجملة ولا تصغي الى من ينطق به فانه كان يقال ما كثر من كثرة البغي ولا قوي من قواه الظلم ولا ملك من ملكه الغضب وها انا احدثك عمن ان حذوت مثاله نلت مناله فقال له المأمون هات فقال

الشيخ ان الخنشوار ملك الهياطلة لما اسر فيروز بن يزدجرد
ملك فارس واراد اطلاقه أخذ عليه عهدا ان لا يغزوه
ولا يقصده بمكروه ووضع فى اقصى تخوم ارض الهياطلة
صخرة واخذ على فيروز عهدا ان لا يتجاوز تلك الصخرة
ولما استوثق الخنشوار من فيروز بما اخذ عليه من عهود
المسالمة اطلقه فحين رجع فيروز الى دار ملكه داخلته
الحمية والانفة فعزم على غزو الخنشوار واطلع وزراءه
على ذلك فحذروه النكث وخوفوه عاقبة البغى فمارءه
ذلك عما هم به فاذكروه العهود التى اخذها عليه الخنشوار
فقال لهم انى لما حلفت له ان لا اتجاوز تلك الصخرة وانا آمر
بحملها على فيل فتكون بين يدى جنودى لا يتجاوزها احد
منهم فلما رأوا ان الهوى قد وقف به على حد الرضى بهذا
القول علموا انقياد عقله لشهوته وامسكوا عنه واعتقدوا
ان لا يراجعوه فى ذلك وكان يقال الهوى صدا يعلو العقل
فلا تنطبع فيه صور الحقائق وكان يقال مالم يبلغ الهوى
حد اللجاج فهو نشوة السكر فاذا بلغ اللجاج فذلك دين
السكر وقوة سلطانه وكان يقال لا يرشد تابع الهوى
فى حال استيلاء الشهوة او الغضب عليه لانها حال
احتجاب عقله وذلك ان الهوى املك بالنفس لتقدم سلطانه
عليها واما سلطان العقل فطارئ مستفاد وللعقل حجابان
وهما الشهوة والغضب ولا يزال العقل ناظرا الى الهوى
قاهرا له مالم يحجبه غضب او شهوة فحينئذ ينبسط سلطان
الهوى وينفذ حكمه قال فجمع فيروز مرازبته وهم اربعة
يتبع كل مرزبان منهم خمسون الف مقاتل وكان كل واحد
منهم ضابطا لربع من ارباع مملكة بابل وامرهم بالتجهيز

المباطلة ففعلوا وسار فيروز نحو الخشنوار في جيوش
يظن ان لا غالب لها وكان الخشنوار يضعف عن مقاومة
مرزبان من مرازبة فيروز وانما كان ظفره بفيروز لا
لمكيدة ليس هذا موضع ذكرها وقد كان موبذان موبذ
ومعنى هذا اللقب حافظ حفظة الدين وهو عند الفرس
كالنبي قال لفيروز حين رأى عزمه على غزو الخشنوار
لا تفعل ايها الملك فان رب العالم يمهل الملوك على الجور ما لم
يأخذوا في هدم اركان الشريعة فلا تتعرض له بسوء فلم
يلتفت فيروز الى هذه المقالة وركب رأسه هواه في
معصية نصحائه وكان يقال يستدل على ادبار الملك
بخمسة امور احدها ان يستكفي الملك بالاحداث ومن
لا خبرة له بالعواقب والثاني ان يقصد اهل مودته بالاذى
والثالث ان ينقص خراجه عن قدر مؤنة ملكه والرابع
ان يكون تقريبه وابعاده للهوى لا للرأي والخامس
استهانته بنصائح العقلاء وآراء ذوي الحكمة وكان
يقال من عصى نصيحا فقد استفاد عدوا وكان يقال انما
يكون قبول الصواب ورده بحسب قوة التخيل الفكري
وضعفه فمن قوي تخيل فكره فهو في سلطان الرأي غالبا ومن
ضعف تخيل فكره فهو في سلطان الهوى غالبا وعلى حكم
هذا القانون فمن عدم الفكرة في الامور التحق بالبهائم ثم
قال الشيخ الفارسي وان فيروز سار قاصدا نحو الخشنوار
حتى اذا انتهى الى تلك الصخرة التي نصبها الخشنوار علما
لتخوم ارضه واستحلف فيروز ان لا يتجاوزها امر فيروز
بقلعها وحملها على فيل وان يكون الفيل الذي يحملها بين
يدي عسكر فيروز ونوى ان لا يتجاوز ذلك الفيل احد

من العسكر فما بعد عن ذلك الموضع الذى كانت الصخرة
فيه حتى جاءه رجل من ثقاة اصحابه فأخبره ان اسوارا
عظيم القدر من اساورته قتل رجلا مسكينا ظلما وعدوانا
وجاء اخو ذلك المسكين المقتول فاستغاث بفيروز
وتظلم من الاسوار قاتل اخيه فأمر له فيروز بمال ليرضيه
به من دم اخيه فابى قبول المال وقال لا يرضينى الا دم
قاتل اخى فامر فيروز بطرده فانطلق من فوره الى ذلك
الاسوار الذى قتل اخاه فشد عليه بخنجر فى يده فلما رآه
الاسوار حرك فرسه هاربا بين يديه وانتهى الخبر الى فيروز
فتعجب من ذلك فنزل وزير من وزراء فيروز عن دابته
وتقدم بين يدى دابة فيروز فسجد له وساله فيروز
عن امره فذكر انه يريد الخلوة به فى مهم عرض له فلم يبرح
فضرب له فسطاط ونزل فيه واذن لذلك الوزير فدخل
عليه وامره بذكر ما عنده فقال له ايها الملك السعيد ملكت
الاقاليم السبعة وعمرت عمرا بنى واسف فى مثل عزهم
وقوتهم لقد ظهرت عناية اول الاوائل بك بما ضرب
لك من المثل فى امر هذا الاسوار اذ كان اسوارا نجيبا نجدا
هرب بين يدى مسكين فى يده خنجر وما ذاك الا لبغيه
وتعديه فقال فيروز انه لم يفر منه لعجزه عنه بل لخوفه منا
ولم يكن ليفعل تلك الفعلة القبيحة ثم يتبعها بمثلها فقال
الوزير ايها الملك ارأيت ان دعوته الى مبارزة ذلك
المسكين وامنته من سطواتك فظهر ذلك المسكين عليه
اما تعلم ان هذا مثل ضربه لك قيم العالم فقال الملك لافعلن
ذلك ثم قال على بذلك الاسوار فحضر وابه وامره بمبارزة
ذلك المسكين الثائر باخيه فاجاب الى ذلك وجمع عليه دلاصا

وركب فرسه وأتى بذلك المسكين فعرضت عليه مبارزته
فأظهر الرغبة فيها والحرص عليها فخوف من الهلاك فلم
يخف وقيل له اما ترى درعه وسلاحه وفرسه اما سمعت
بعفروسيته ونجدته واقدامه انك مهلك نفسك ومستميت
ولا اثم علينا فيك فقال لهم المسكين دعوني واياه فانه
على فرس الغرور وانا على فرس البصيرة وهو لابس درع
الشك وانا لابس درع الثقة وهو مقاتل بسيف البغي
وانا مقاتل بسيف الحق فقال الوزير لفيروز ايها الملك
ان كلام هذا المسكين ابلغ في المثلية والموعظة من ظفره
بهذا الاسوار فصن اسوارك واستبق نفسه ولا تعرضه
للهلكة بلقاء هذا المسكين واعمل في رضى هذا المسكين
بالاحسان اليه فان لم يرضه الا القصاص فاقض له
بالعدل المألوف منك واستدم عناية الاول الاحد بك
بعنايتك بالحق الذي يرضيه العمل به ويسخطه اجتنابه
فقال فيروز لابد من ان اخلي بينهما وانظر الى مايكون
منهما ان كان يختار المسكين ذلك ويرغب فيه فاعادوا
عرض مبارزة الاسوار على المسكين فاصر على الرغبة
فيها والحرص عليها وخوفوه الهلاك فلم يزده تخويفهم الا
جراءة واقداما فقيل للاسوار القه ولا تجبن عنه فحمل
كل واحد منهما على الاخر فالتقيا وقبض المسكين على شكيمة
فرس الاسوار فضربه الاسوار بالسيف ضربة تطاطأ لها
المسكين فاصاب ذباب السيف الينه فأثر فيها اثراليس
بالكثير ثم ثار اليه المسكين وضربه بالخنجر في عنقه وجذبه
فصرعه ثم ضربه وهو ملقى ضربة اخرى فادخل حلقات
من الدرع في جوفه وقضى عليه فبات فيروز تلك الليلة

في موضعه

في موضعه ذلك يفكر فيما يأتيه ثم انه استقاد لهواه
فنفذ لوجهه وكان يقال اول الهوى هون وآخره هوان
وكان يقال الهوى طاغية فمن ملكه اهلكه وكان يقال
الهوى كالنار اذا استحكم ايقادها عز اخمادها وكالسيول
اذا اتصل مدها تعذر صدها وكان يقال ليس الاسير من
اوثقه عداه اسرا انما الاسير من اوثقه هواه قسرا واورثه
خسرا قال الشيخ فلما علم الخنشوار قصد فيروز لحربه حمل
نفسه على التثبت ووكل الامر الى الواحد الاحد وساله
ان يغضب لعهوده ومواثيقه التى لم يرع فيروز حقها
ولا خاف تبعة نكثها واخذ مع ذلك بحظه من الحزم فسد ثغوره
وجمع اليه جنده واعد للقاء فيروز عدته وامهل حتى
وطئ فيروز كثيرا من ارضه وتوسط مملكته فعاث في
بلاده وساء على رعيته اثره فنهض اليه ففاجاه وصدقه
الجلاد فانكشف فيروز منهزما واسلم ما كان في يديه
فقتل الخنشواز رجاله وغنم امواله وامعن في طلب
فيروز حتى ظفر به فقتله واسر اهل بيته وحماة اصحابه
فكانت العاقبة له قيل فلما سمع المامون ما ضرب له الفارسي
مثلا اقبل عليه مستبشرا وقال له قد سمعنا مقالتك فوقعت
منا قبولا لها وشكرا عليها وسرورا بها فما ذا ترى فيما
دعوناك اليه من توحيد الله الذى اجزل من العقل حظك
ووفق بالمعرفة فكرك وانطق بالحكمة لسانك وقطع بمحمد
صلى الله عليه وسلم عذرك فقال الشيخ اشهد ان لا اله الا
الله واشهد ان محمدا رسول الله فسر المامون باسلامه
واجزل صلته وقرب منزلته فالحقه بخاصة اصحابه وامره
بملازمة بابه فما لبث الا اياما قلائل حتى لحق بربه وعمل المامون

برأيه فانجح الله عمله وبلغه من الخلافة أمله والله تعالى اعلم بالصواب

السلوانة الثانية وهي سلوانة التأسي

انزل الله ربنا تقدس اسمه من السورة المذكور فيها الاحزاب ايات معجزات طبق الفصل المقصود بهذا الكتاب وهو تأسي الملوك في طوام العوام والله ربنا المحمود على الهداية اليها والدلالة عليها وذلك قوله سبحانه وتعالى في المتالبين على خليفته في ارضه الداعي الى مندوبه وفرضه صلى الله عليه وسلم تسليما اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وقوله تعالى هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا وقوله في تردد من ضعفت بصيرته حينئذ وتظنون بالله الظنونا وقوله في نجوم النفاق وجراءة اهله على اظهار ما كانوا يسترونه حين رأوا ان المؤمنين قد ابتلوا وزلزلوا واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقوله في القاعدين عن نصرة الحق المخذلين من اراد نصره قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا الاية وقوله فيهم واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا وقوله في المتسللين لواذا ويستاذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا وقوله في تجار اسواق الفتن الذين يتبعون كل ساع ويستجيبون لكل داع ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم سئلوا الفتنة لاتوها الاية وقوله في تعجيز القدر عن مغالبة القدر قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل الاية

والتى بعدها وهى قوله سبحانه من ذا الذى يعصمكم من
الله ان اراد بكم سوءا اوراد بكم رحمة الاية فهذه جمل
طوام العوام والامتحان بها ثم ان الله سبحانه وتعالى
دل من امتحنه بها على ما أدب به رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقوله لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة ومما أدب
الله به رسوله التاسى قال عزمن قائل ولقد كذبت رسل
من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا
ثم عرف الله سبحانه رسوله عليه السلام ان اضاعته
التاسي وتركه العمل به لايجلب اليه حظا فقال وان كان
كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغى نفقا فى الارض
اوسلما فى السماء فتأتيهم باية واعلمه ان التاسى بهم شئ
مفترض عليه بقوله فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل
وقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فهذا امر جزم
وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله ادبني
فاحسن أدبى فالتاسى مما أدب الله به رسوله بل مما افترض
عليه كما بينا ومعنى التاسى عند الائمة ان تنظر الى أسي
غيرك اى حزنه وانه مثل اساك اى مثل حزنك فتصبر والأسى
هو الحزن ولا يعجبنى هذا وهو عندى مأخوذ من قولهم
أسوت الجرح والجريح اى داويت والآسى هو الطبيب المداوى
فكأن معنى التاسى التطبب والتداوى بالصبر والاسوة
اسم من هذا والتأسى تفعل من الاسوة ولو كان الى ماذهبوا
اليه لكان معنى التاسى التحزن تقول اسيت اى حزنت
وتاسيت اى تحزنت خبر نبوى فى التاسى مما رويناه
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال انظروا الى من هو اسفل
منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فانه اجدر ان لا تزدروا

نعمة الله عليكم قال الشيخ الامام محمد بن ظفر عفى الله عنه أن
هذا الحديث لحسن الموقع مما نحن فيه ولا ينبغي ان يقتصر
بلفظه عن مطلق افهامه وموجب عمومه لانه امر لمن كان
في نعمة دقيقة بان ينظر الى من هو في نعمة ادق منها وامر
لمن كان في بلاء ان ينظر الى من كان في بلاء اشد من بلائه
فانه دونه واسفل منه في المعافاة المطلوبة وهذا المخفف
عنه حظه اوفر وعلى هذا القياس وعلى قدر النعمة منعم
عليه ومحسن اليه بما يفوق بما انعم به على غيره وذو البلاء
منعم عليه بنقص بلائه عن بلاء غيره وبما فاته من الابتلاء
بتلك الزيادة التي ابتلى بها غيره وانما كان هذا الخبر بليغا في
باب التأسي لانه يقلل مستعظم البلاء الذي نزل به الى أن
يستصغره باضافته الى ما ابتلى به غيره ويحضه على شكر
ما فضل به من حظ العافية التي فضل بها على غيره وهذه
درجة اعلى من درجة التأسي المطلق لان التأسي المطلق
لا يفيد حضا على شكر ولا يصور النقمة المخففة في صورة
النعمة وانما يثمر الصبر خاصة وهذا الحديث يثمر الصبر
ثم الشكر

اسجاع وابيات حكمية في التأسي

التأسي جنة البلاء وسنة النبلاء التأسي درج الاصطبار
كما ان الجزع درك التبار انه ينبغي لذي البصيرة ان يرى النعم
في صور العواري المرتجعة والودائع المنتزعة فمتى لم يفعل
ذلك اعظم فقدها وجور المنعم اذا استردها كما ينبغي له
ان لا يذهل عن حظوظ جنسه منها ودولتهم فيها واذا زالت
عنه وصارت اليهم لم ينكر احدهم انصباءهم وتقاضيهم
حظوظهم وايتاس بصبرهم عند حوزه لها دونهم فيصبر

لدولتهم الخالقه كما صبر والدولته السالفه ولان صدقة
المتصدقين واقراض المقرضين وضيافة المضيفين وما
يلتحق بذلك من ضروب المواساة فى المال وفى القوة وفى
الجاه انما ندب اليه المواسون فيه ليستبقوا النعم باعطاء
الجنس حظوظهم منها وفى هذه الجملة الحكمية لمن تدبرها
قنعان والله المستعان انشدنى بعض الملوك لنفسه
حال شدة نزلت به يقول

نحن من قد علمت بطشا وحلما ولنا المحتد الاعز الاغر
ولنا انفس عوارف بالدهر تاسى حين الاسى يستقر

وحضرت عنده يوما من ايام شدته فانشدنى لنفسه
يقول

قربنى دهرى فلم يلقنى اطمع فى تأبيد تقريبه
ثم ثناعنى فلم يلقنى اجزع من اصناف تعذيبه
والحمد لله على حكمه فقوتى منه وحولى به

وقال لى يوما وقد حادثته بما يبعثه على التاسى انشدنى فى
ذلك شعرا فانشدته للخنساء

يذكرنى طلوع الشمس صخرا واذكره بكل مغيب شمس
ولولا كثرة الباكين حولى على اخوانهم لقتلت نفسى
وما يبكون مثل اخى ولكن اعزى النفس عنه بالتاسى
الا يا صخر لا انساك حتى افارق عيشتى وازور رمسى

فقال لى هذا اخلق من طيلسان ابن حرب اسمع وانشدنى له

نفيض كما يفيض النيل جودا ونقدم مثل اقدام الحسام
وان نزلت بنا كبر الرزايا تاسينا بامثال الكرام

روضة رائقه ورياضة فائقه

قيل لما عزم سابور بن هرمز على الدخول الى بلاد الروم متنكرا

متجسسا نهاه نصحاؤه وحذروه التغرير بنفسه في امر
يمكنه ان يستنيب فيه فعصاهم وكان يقال اشقى الناس
وزراء الاحداث من الملوك وعشاق القينات من الشيوخ
وكان يقال انما عسر صرف الاحداث عن غي
الهوى الى رشد الرأى لامرين احدهما قوة سلطان
الشهوات عليهم والثاني ان التجارب لم يرض قواهم على
مخالفة هواهم وذو الحنكة بخلاف ذلك ثم ان
سابور توجه نحو بلاد الروم واستصحب وزيرا كان
له ولابيه من قبله وكان شيخا ذا دهاء وحزم وسداد
رأى وحنكة وبصر بالديانات واللغات وتبحر في العلوم
وخبرة بالمكايد فسلم اليه سابور جميع ما يظن ان به اليه
حاجة او تدعوه اليه داعية وامره ان يتخلف عنه في قربته
ومراعاة جميع احواله في نهاره وليله وتوجها معا نحو الشام
فتزيا ذلك الوزير بزي الرهبان وتكلم بلسان الجلالقة وتعرف
بصناعة الطب الجرايحي وكان معه الدهن الصيني الذي
اذا دهنت منه الجراح برئت واندملت في الحال قال
محمد بن ظفر عفى الله عنه قد رأيت جماعة ذكروا انهم رأوا
هذا الدهن المذكور وحدثني بعضهم بانه امتحنه بان
شرح اللحم ودهنه فالتأم مكانه فكان ذلك الوزير
في مسيره نحو بلاد الروم وبعد ما دخلها يداوي الجرحى
بادوية يضيف اليها شيئا يسيرا من ذلك الدهن فتبرأ جراحهم
بسرعة واذا عنى باحد منهم من ذوي الاقدار داواه من
ذلك الدهن صرفا فيبرأ مكانه ولا يأخذ عليه اجرا فانتشر
له في بلاد الروم وذكر وصيت بالعلم والزهد وكان يقال
من غرس العلم اجتنى النباهة ومن غرس الزهد اجتنى العزة

ومن

ومن غرس الاحسان اجتنى المحبة ومن غرس الفكرة اجتنى
الحكمة ومن غرس الوقار اجتنى المهابة ومن غرس المداراة
اجتنى السلامة ومن غرس الكبرياء اجتنى المقت ومن
غرس الحرص اجتنى الذل ومن غرس الطمع اجتنى الخزى ومن
غرس الحسد اجتنى الكمد وكان يقال الامم على اختلاف
اديانها وازمانها وبلدانها متفقة على حمد اخلاق اربعة
العلم والزهد والاحسان والامانة قيل فانطلق سابور
ووزيره منفردين الا ان الوزير يراعي احوال سابور
اشد المراعاة فلم يزالا على ذلك حتى طرقا جميع الشام كله وتجاوز
الدروب وقصدا القسطنطينية فقدماها فذهب الوزير
الى البطرك وتفسير هذا الاسم ابو الاباء فاستأذن عليه
فاذن له وسأله عما يريد فاخبره انه هاجر من ارض الجلالقة
ليتشرف بخدمته ويدخل في اتباعه واهدى اليه هدية
نفيسة حسن موقعها من البطرك فقربه واكرمه واحسن
نزله والحقه ببطانته واختبره فوجده لبيبا ممتعا فاعجب
به غاية الاعجاب وصار الوزير يتأمل اخلاق البطرك ليصحبه
بما يوافقه وينفق عنده ويحسن موقعه منه وكان يقال
اذا اردت صحبة رئيس فانظر الى ما يستميله وينفق عليه
من الالات فان كنت مطيقا للعمل بها في طلب اقباله عليك
وحظوتك عنده فاقدم عليه والا فرض نفسك على ذلك
حتى تعلم انها قد اطاقته واحكمته فتقدم على بصيرة قيل
فلما تأمل وزير سابور اخلاق البطرك وجده مائلا الى
الفكاهات معجبا بنوادر الاخبار فاخذ الوزير في اتحافه
من ذلك بكل نادرة غريبة وملحة عجيبة فلم تطل المدة في
صحبته حتى حل بعينه وقلبه وصار الصق به من شعار قميصه

وجعل مع ذلك يعالج الجرحى ولا يأخذ على ذلك عوضا
فعظم قدره في الناس وومقته القلوب وكان يقال
اذا كانت القلوب مجبولة على مقة المحسنين وكانت المحبة
رقا والاحرار يكرهون الاسترقاق فالحر على الحقيقة
من فدى نفسه من رق المحسنين بمكافأتهم على
احسانهم جهده حتى اذا لم يستطع فليرق نفسه لهم
معذورا وجعل الوزير يتعهد احوال سابور في كل وقت
الى ان صنع قيصر وليمة وحشد اليها الناس على طبقاتهم
وتهدد من تخلف عنها فاراد سابور حضورها ليطلع على
هيبة قيصر وهمته في قصره وذخائره فنهاه وزيره
عن التغرير بنفسه فعصاه وتزيا بزي يظن انه يستره
امره ودخل دار قيصر مع من حضر الوليمة وقد كان
قيصر لما بلغه ما أيد الله به سابور من لطف الفطنة وعظم
الهمة وشدة البأس في حال صباه حذره حذرا شديدا
فبعث الى حضرته بمصور ماهر فحكى صورة سابور في
مجلسه وحال ركوبه وغير ذلك من صوره بالاحوال التى
شاهده المصور عليها وقدم بتلك الصور على قيصر فأمر
قيصر بان تصور تلك الصور على فرشه وستوره وفي
الآت اكله وشربه فصنع ذلك على ما امر به ورسم به ولما
دخل سابور دار قيصر واستقر في مجلسه وطعم مع من حضر
ذلك المجلس اتوا بالشراب في كؤوس البلور والذهب
والفضة والزجاج المحكم وكان في المجلس رجل من حكماء
الروم ودهاتهم ذو فراسة صادقة فلما وقعت عينه
على سابور انكره وجعل يتأمل شخصه ونظرته واشارته
فرأى عليه مخايل الرياسة فطفق يستشفه ولا يصرف بصره

عنه فأتى ذلك المتفرس بكاس فيه صورة سابور فأملها
فانطبعت فى نفسه مثالا لذلك الشخص الذى انكره وغلب
على ظنه انه سابور فأمسك القدح فى يده امساكا طويلا
ثم قال رافعا صوته ان هذه الصورة التى فى القدح تخبرنى
خبرا عجيبا فقيل له ما الذى تخبرك فقال تخبرنى هذه الصورة
ان الذى هى مثال له معنا فى مجلسنا هذا ونظر الى سابور
وقد تغير حين سمع مقالته فحقق ما ظنه به واعاد القول
وبلغ كلامه قيصر فادناه وساله فاخبره ان سابور معه
فى المجلس واشار اليه فامر قيصر بالقبض على سابور
فقبض عليه وقرب من قيصر فساله عن نفسه فتعلل
بضروب من العلل فقال ذلك المتفرس لا تقبلوا قوله فهو
سابور لا محالة فامر قيصر بقتله ليرعبه بذلك فاعترف لهم
بانه سابور وكان يقال قلوب الحكماء تستشف الاسرار من
لمحات الابصار وطالما دلت اوائل المبصرات على اواخر المنتظرات
وقيل كما ان الابصار مرايا تنطبع فيها المشاهدات اذا اسلمت من
صدأ الآفات فكذلك العقول مرايا تنطبع فيها بعض الغائبات
اذا اسلمت من صدأ الشبهات وقيل من الادلة على مكاشفة القلوب
ببعض الغيوب ان الانسان قد يتوقع الشئ يكرهه او يحبه
ثم يكون ذلك الشئ الذى يتوقع على نحو ما توقع منه فقد
يرى الانسان فيحبه لغير احسان فرط منه اليه او يبغضه
لغير اساءة جناها عليه ثم يكون منه اليه الاحسان
والاساءة قيل فلما اعترف سابور بصدق ذلك المتفرس
حبسه قيصر مكرما وامر فعملت له من جلود البقر صورة
بقرة اعظم ما يكون من البقر وطبقت عليها الجلود سبع
طبقات واتخذ لها باب من اعلاها فى ظهر الصورة يدخل اليها

ويخرج منها وجعلت فيها كوة من اسفلها في موضع المبال
وامر بسابور فجمعت يداه الى عنقه بجامعة من الذهب ذات
سلسلة ليمكنه معها تناول ما يصلحه من طعام وغيره وادخل
سابور في جوف تلك الصورة وهذا بعد ان حشد قيصر
جنوده واستعد لغزو بلاد الفرس ووكل بتلك الصورة
التي سجن فيها سابور مائة رجل من ذوي البأس والقوة
يحملونها دولا بينهم وجعل على كل خمسة منهم رئيسا
يضبط امرهم وصرف امر جميعهم الى المطران ومعنى هذا
اللقب صاحب البلد لانها رياسة دينية وهو خليفة
البطرك فكانت تلك الصورة تحمل بين يدي المطران فاذا
نزل العسكر انزلت الصورة التي فيها سابور في متوسط
العسكر وضربت عليها قبة تسترها وطاف بها خمسون
من الموكلين بها ورؤساؤهم معهم وضربت حولها عشر
قباب مستديرة بها فكان في كل قبة خمسة ورئيسهم معهم و ضربت
للمطران قبة بمجاورة قبة سابور وضربت خارج القباب
كلها خيمة يصنع فيها طعام الموكلين بقبة سابور على حسب
اقدارهم ومراتبهم وسار قيصر محتفلا في جنوده وقد
عزم على اخراب بلاد الفرس وتعفية معالم ملكهم لعلمه ان
لا دافع يدفعه عنهم وكان يقال الحزم التزام مداجاة العدو
ما دامت لدولته ريح اقبال كما ان العجز اضاعة الفرصة
فيه اذا ادبرت دولته وركدت ريح اقباله وكان
يقال العاقل لا يصير في سلطان ملك اجتمعت فيه خصلتان
الانهماك في اللذات واضاعة الفرص وكان يقال تمييز
الملوك عن السوقة انما يكون بفضيلة الذات لا بفضيلة
الآلات وفضلت ذات الملك بخمس خصال رحمة تشمل

رعيته ويقظة تحوطهم وصوله تذب عنهم وليانة يكيد
بها الاعداء وحزامة ينتهز بها الفرص فهذه فضيلة الذات
واما فضيلة الآلات فاتخاذ المباني الوثيقة العلية
والملابس الانيقة السرية والذخائر النفيسة السنية
والمطاعم الشهية والمراكب البهية فهذه فضيلة تفضل
بها هذه الادوات على ما هو دونها من اجناسها فيكون للقصر
فضل على غيره من القصور والثوب فضل على غيره من الثياب
والذخيرة فضل على غيرها من الذخائر والطعام فضل على
غيره من الاطعمة والدابة فضل على غيرها من الدواب
فالفضيلة لهذه الاشياء لا لمالكها قيل فلما سار قيصر بجنوده
ومعه سابور على الهيئة التي ذكرناها قال وزير سابور
للبطرك ان مما استفدت من خدمتك والقرب منك الرغبة
في صالح الاعمال وانه لا عمل انفس من تنفيس كربة عن مجهود
وجبر تفع الى مضطر وقد علمت كفاءتي في معاناة الجرحى
وان نفسي تنازعني الى صحبة الملك قيصر في سفره هذا فلعل
الله ان يستنقذ بي نفسا صالحة ويترحم علي من اجلها ويتقدس
قلبي بخدمتها ويحفظني لها فكره البطرك ذلك وقال له قد
علمت اني لا استطيع فراقك ساعة فكيف تطالبني بالسفر
البعيد عني ما ظننت انك تلقاني بما اكرهه وتسومني ما
يشق على احتماله كما لم اظن انك تؤثر شيئا من الاشياء على القرب
مني والتحبب الي فقد انزلتني عن حسن ظني بك فلم يزل الوزير
يتضرع الى البطرك ويملقه ويقرب له العود الى ان سمح له بذلك
فاذن له وزوده وكتب معه كتابا الى المطران يخبره
فيه انه قد بعث اليه بسويداء قلبه وسواد بصره
فليحله من نفسه باعلى المراتب ويستضيء برأيه فيما اشكل

عليه فقدم وزير سابور على المطران فعرف له حقه
وانزله معه فى قبة وجعل زمام امره ونهيه بيده وجعل
الوزير ينفق على المطران بما يعجبه ويستميله اليه ويطرفه
كل ليلة باخبار ممتعة رافعا بها صوته ليسمع سابور حديثه
فيتسلى بذلك ويدس فى احاديثه ما يجب ان يستعمله
سابور من الاخبار ويفطنه له من الاسرار فكان سابور
يجد لذلك اعظم راحة وكان الوزير قد اعد لتخليص سابور
انواعا من المكايد رتبها واتمها عندما قدم على المطران
وكان يقال من ظن من الملوك ان لفطنته فضيلة على فطنة
وزيره فقد غلط وان اضاف الى هذا الغلط مخالفة
الوزير لم يفلح وانما كانت فطن الوزير انفذ من فطنة الملوك
لان الملوك يتفقهون ابدا فى سياسة من دونهم من الرعايا لا غير
والوزراء يتفقهون فى سياسة الملوك وسياسة الرعايا
فهم اشبه شئ بالجوارح التى تصيد وتفترس وتصيدها
ايضا جوارح اشد منها فهى اعرف الجوارح بمكايد الاحتراس
ومكايد الاكتساب وكان يقال احسن الوزراء حالا من
اعد لكل امر يجوز وقوعه ويمكن كونه عدة فاذا وقع الامر
قابله بما كان اعده له واسوأ الوزراء حالا من توكل على لطف
فطنته وقوة حيلته ودراية ممارسته فترك الاعداد للامور
قبل نزولها ثقة بنفسه وانما هو فى ذلك بمنزلة من ترك
تزوير القول واعداده وترويته توكلا على فصاحة لسانه
وقوة بديهته وحسن ارتجاله فيوشك ان يستولى عليه
العى والحصر فى بعض مقاماته وبمنزلة من ترك حمل السلاح
توكلا على قوة بدنه وشجاعة قلبه فيوشك ان يظفر به
عدوه فى بعض المواطن قبل وكان من المكايد التى اعدها

وزير سابور انه امتنع من مؤاكلة المطران وزعم لدانه
لا يريد ان يخلط بالطعام الذى زوده البطرك طعاما
غيره لما يرجوه من بركته لاغتذاء به فكان اذا احضر
طعام المطران اخرج هو من ذلك الزاد فانفرد بالاكل
منه فلم يزل قيصر سائرا بجنوده حتى بلغ ارض فارس
فاكثر فيها القتل والسبى وتغوير المياه وقطع الشجر
واخراب القرى والحصون وهو مع ذلك يواصل السير
مبادرا ليستولى على دار ملك سابور ويباغت من بها من
رؤساء الفرس قبل ان يملكوا عليهم رجلا ولم يكن للفرس
هم الا الفرار بين يديه والاعتصام منه بالمعاقل فلم يزل
قيصر على ذلك حتى بلغ مدينة سابور وقرارة ملكه
وهى المسماة جندى سابور فاحاط بها جنوده ونصب
عليها المجانيق ولم يكن عند من بها من عظماء الفرس حيلة
فى دفعه باكثر من ضبط الاسوار والقتال عليها وكل
هذا قد علمه سابور على التفصيل بما يفهمه اياه وزيره
ويدسه فى احاديثه من الاشارات والرموز والكنايات
وكان سابور لم يسمع منه كلمة منذ سجنه قيصر فى تلك
الصورة فلما عرف سابور ان قيصر قد ثقلت وطأته
على اهل جندى سابور وقد تسلم الاسوار بالمجانيق
واشرف على افتتاح المدينة عيل صبره وساء ظنه بوزيره
وجزع ويئس من النجاة مما هو فيه فلما جاءه الموكل به
بطعامه قال له ان هذه الجامعة قد نالت منى منالا
ضعفت عن احتماله فان كنتم تريدون بقاء نفسى فتنفسوا
عنى منها واجعلوا بينها وبين عنقى خرقا من الحرير فجاء الموكل
بطعامه الى المطران فاعلمه بمقالة سابور فسمعها وزير

سابور فعلم ان سابور قد جزع وساء ظنه وفطن لما
قصده سابور فلما جن عليه الليل وجلس لمسامرة
المطران قال له لقد ذكرت الليلة حديثا عجيبا ما ذكرته
منذ كذا كذا سنة ولوددت اني كنت حدثته للبطرك
قبل سفري عنه فقال المطران اني راغب اليك ان
تحدثني به الليلة ايها الحكيم الراهب فقال الوزير نعم
وكرامة ثم اندفع يحدثه رافعا صوته ليسمع سابور فقال
انه كان عندنا بجليقة فتى وفتاة في نهاية من الحسن
والظرف اسم الفتى ما معناه عين اهله واسم الفتاة
ما معناه سيدة النار وكانا زوجين مؤتلفين متحابين
لا يبتغي احدهما بالآخر بدلا وان عين اهله جلس يوما مع
اصحاب له يتحادثون فتذاكروا النساء الى ان وصف احدهم
امرأة بالجمال البارع والظرف الرائع اسمها ما معناه سيدة
الذهب فوقع بقلب عين اهله ميل اليها فسال الواصف
عن منزلها فذكر له انها بقرية غير قريبة عين اهله ففكر عين
اهله في امرها وخامره حبها وطمحت نفسه اليها طموحا
شديدا وكان يقال العقل كالبعل والنفس كالزوجة له
والجسم كالبيت لهما فاذا كان سلطان العقل على النفس
مبسوطا اشتغلت النفس بمصالح الجسم كاشتغال المرأة
التي قهرها بعلها فيشغلها بمصالح نفسها وبيتها وولدها
وبعلها فصلحت في الجملة واذا كان السلطان للنفس على العقل
كان سعي النفس فاسدا ونزعاتها مذمومة كفعل المرأة
التي قهرت بعلها قيل فانطلق عين اهله الى القرية التي
تسكن بها سيدة الذهب وطلب منزلها حتى عرفه ولم
يزل يتردد اليه حتى رآها فرأى منظرا معجبا ولم تكن احسن

من امرأته ولكنه كان يقال من ضرورة النفس ان تحن
الى التنقل في الاحوال اذ كانت نقلت بالتركيب الى عالم
الكون ثم تنتقل بالتفريق الى عالم الفساد وما افتتح
امره بالنقلة واختتم امره بالنقلة فأليق الاحوال توسطه
النقلة ونازعت عين اهله نفسه الاستكثار من رؤية
سيدة الذهب فلزم المعاودة الى منزلها والتمتع بتأملها
حتى فطن له بعلها وكان جليقا غليظ الطبع قاسي القلب
شديد البطش يسمى الذئب فرصد عين اهله حتى مر به فلما
رآه وثب عليه فقتل فرسه ومزق ثيابه ومقنعته وعنق
عليه واستعان باصحاب له فاحتملوا عين اهله وادخلوه
الى دار الذئب وربطوه الى سارية في بيت من بيوتها
ووكل به الذئب عجوزا قطعاء اليد جدعاء الانف عوراء
العين شوهاء الحالة فلما جن عليه الليل اوقدت تلك
العجوز نارا بالقرب من عين اهله وجلست تصطلي
فتذكر عين اهله ما كان فيه من السلامة والرفاهية
والعز فزفر زفرة عالية فاقبلت عليه العجوز وقالت
له ايها الفتى ما ذنبك الذي اوردك مورد الذل والشدة
فقال عين اهله ما علمت ان لي ذنبا فقالت العجوز هكذا
قال الفرس للخنزير فلم يصدقه الخنزير ثم باحثه عن امره
فظهر ما خفي عنه وعلم صدق ظن الخنزير فقال عين اهله
للعجوز ان رأيت ان تحدثيني بذلك وكيف كان فانك
تحسنين الي به فقالت العجوز ذكر ان فرسا كان لرجل من
الشجعان فكان يكرمه ويحبه ويحسن القيام عليه ويعده
لمهماته ولا يصبر عنه ساعة وكان يخرج به في الغدوات
الى المرج فيزيل عنه سرجه ولجامه ويطيل رسنه فيترع

ويرعى حتى ترتفع الشمس فيرده وانه خرج به يوما الى
المرج ونزل عنه فلما استقرت قدماه على الارض نفر الفرس
وجمح ومر يعدو بسرجه ولجامه فطلبه الفارس يومه
كله فاعجزه وغاب عن عينه عند غروب الشمس فرجع الفارس
الى اهله وقد يئس من الفرس ولما انقطع الطلب عن
الفرس واظلم عليه الليل جاع فرام ان يرعى فمنعه اللجام ورام
ان يستقر على احدى جنبيه فمنعه من ذلك الركابات
ورام ان يتمرغ فمنعه السرج فبات بشر ليلة الى الصباح
ولما اصبح ذهب يبتغي فرجا مما هو فيه فاعترضه نهر
فدخله ليقطعه الى ضفته الاخرى فاذا هو بعيد القعر
فسبح فيه وكان حزامه ولببه من جلد لم يبالغ في دبغه فلما
خرج من النهر اصابت الشمس الحزام واللبب فيبسا واشتدا
عليه فورم لبابه ومحزمه واشتد الضرر عليه الى ما به
من الجوع فلبث بذلك اياما الى ان ضعف عن المشي فقام
فمر به خنزير فهم بقتله ثم عطفه عليه ما راى به من
الضعف فسأله عن حاله فاخبره بما هو فيه من اضرار
اللجام واللبب والحزام به وسأله ان يصطنع به معروفا
ويخلصه مما ابتلي به وسأله الخنزير عن الذنب الذي
استحق به تلك العقوبة فزعم الفرس ان لا ذنب له فقال
له الخنزير كلا بل انت كاذب في زعمك او جاهل بجرمك
فان كنت يا فرس كاذبا فما ينبغي ان انفس عنك خناقا ولا ان
اصنع معك معروفا ولا اتخذك وليا ولا ان التمس عندك
شكرا او اطلب فيك اجرا وانه كان يقال اذا رأيت
نفس الكذاب قد تشبثت بها عالم الفساد فكلها اليه فانه
اللائق بها الفساد تركيبها والدليل على فساد تركيب

نفس الكذاب انها مضربة عن الصدق معرضة عن الحقيقة
في الحوادث ونزاعة الى العدم المحض فتصور العدم وجودا
والباطل حقا وتصور ذلك في نفس المغتر بها الراكن
الى قولها وكان يقال احذر مقارنة ذوي الطباع
المرذولة لئلا تسرق طباعك من طباعهم وانت لا تشعر
وكان يقال اصعب ما يعاينه الانسان ممارسة صاحب
لا تحصل منه حقيقة وكان يقال لا تطمع في استصلاح
الرذل والحصول على مصافاته فان طباعه اصدق له
منك فلن يترك طباعه لك ثم قال الخنزير واذ كنت يا فرس
جاهلا بجرمك الذي استوجبت به هذه العقوبة
فجهلك بذنبك اعظم منه فمن جهل ذنوبه اصر عليها ولم
يرج فلاحه وكان يقال احذر الجاهل فانه يجني على
نفسه ولست احب اليه من نفسه وكان يقال ما شيء
اشبه بالكذب من الجهل وذلك لان الكذاب يتناسى
الصورة والقضية المحسوستين ويتخيل الكذب الذي
هو ضدهما حتى ينطبع ذلك في عقله ويترك الصواب عمدا
الى غيره والجاهل يرى الاشياء على خلاف ما هي عليه فيرى
القبيح حسنا والحسن قبيحا وانما الفرق بين الجاهل والكذاب
ان الكاذب يأتي ما يعلم خطأه فيه والجاهل لا يعلم ذلك
فهو على نفسه وعلى غيره اشد خيانة من الكاذب فقال
الفرس للخنزير ينبغي لك ان لا تزهد في اصطناع المعروف
فقال الخنزير لست بزاهد في ذلك ولكنه كان يقال
العاقل يتخير لمعروفه كما يتخير الباذر للحبوب التي يبذرها زكي
من الارض فحدثني يا فرس عن ابتداء امرك فيما نزل بك
وعن حالك قبل ذلك لاعلم من اين دهيت فحدثه الفرس

بجميع امره وكيف كان عند فارسه وكيف فارقه وما لقي
في طريقه الى حين اجتماعه بالخنزير فقال الخنزير قد ظهر لي
الآن انك جاهل بجرمك وان لك ذنوبا ستة اولها خذلانك
فارسك الذي احسن اليك واعدك للمهمات والثاني كفرك
لاحسانه والثالث اضرارك به في طلبك والرابع تعديك
على ما ليس لك وهو السرج واللجام والخامس اساءتك
على نفسك بتعاطيك التوحش التي لست له اهلا ولا لك
عليه مقدرة والسادس اصرارك على ذنبك وتماديك
في غواياتك فقد كنت متمكنا من العود الى فارسك والاستقالة
من فارط جهلك قبل ان يوهنك اللجام واللبب والحزام
بالضنك فقال الفرس للخنزير اما اذ عرفتني ذنوبي
وايقظتني لما كنت ذاهلا عنه محجوبا بحجاب الجهل فانطلق
الآن ودعني فاني مستحق لاضعاف ما انا فيه فقال الخنزير
اما اذ عرفت وفطنت لهذا العذر ولمت نفسك ووبختها
واخترت لنفسك العقوبة على جهلها واستعملت الحكمة التي
وعيتها فانك حقيق ان ينفس عنك وانه قيل ان الأب لوقا
كتب على باب بيته انه لن ينتفع بحكمتنا الا من عرف نفسه
ووقف بها عند قدرها فمن كان بهذه الصفة فليدخل والا
فليرجع حتى يكون بهذه الصفة ثم ان الخنزير قطع عنان
اللجام فسقط وقطع الحزام فنفس عن الفرس بحال فلما سمع
عين اهله ما خاطبته به العجوز وفهم ما ضربت له من
الامثال اقبل على العجوز وقال لها قد صدقت فيما نطقت
وضربت لي مثلا كشف لي عن حلية امري وافادتني حكما
لا كفاء لها وادبتني فتادبت ووعظتني فاتعظت ثم
حدثها حديثه ورغب اليها في ان تمن عليه بالاصطناع وتطلقه

كما فعل الخنزير بالفرس فقالت له العجوز انك غر لا بصيرة لك
باكثر الامور وان الذى سألتنى لا يمكننى فعله الآن
ولعلى ان اجد لك فرجا ومخرجا مما انت فيه فعليك بالصبر
وامسكت العجوز عن مخاطبته فلما انتهى الوزير فى حديثه
الى هذه الغاية اقبل على المطران وقال له انى احس فى راسى
صداعا وفى اعضاءى فتورا ولا يمكننى الليلة اتمام الحديث
ولعلى ان اكون فى الليلة القابلة نشيطا الى ذلك قديرا عليه
فاكمل مسرتك باكماله ونهض الى مضجعه فجعل سابور يتصفح
حديث وزيره ويتأمل الامثال الذى رصعه بها ففهم
ان الوزير كنى عنه بعين اهله لانه ملك فارس وكنى عن
مملكته واقليم بابل بسيدة النار لان رعيته يعبدون النار
وكنى عن بلاد الروم بسيدة الذهب وكنى عن قيصر بالذئب
الذى ذكر انه بعل سيدة الذهب وكنى عن طموح نفس
سابور الى رؤية مملكة الروم بطموح نفس عين اهله الى
رؤية سيدة الذهب وكنى عن اخذ قيصر له بقبض
الذئب على عين اهله وقصد بما ضرب له من الامثال الحكمية
تأديبه على شرهه وتغريره بنفسه ومخالفته نصحاءه وكنى
عن نفسه وحاله وعجزه وحزنه وذله فى خدمة المطران
وطلبه مرضاته وتملقه بالعجوز القطعاء الجدعاء العوراء
المشوهة الخلق وعرفه انه لا يمكنه تخليصه فى ذلك الوقت
وانه ساع فى خلاصه فسكنت نفس سابور لما فهم ذلك
وعاودته ثقته بوزيره واسترْوح ريح الفرج ولبث
بذلك ليلته ووعدها الى الليلة القابلة فلما تعشى المطران
واخذ مقعد المسامرة قال لوزير سابور ايها الراهب الحكيم
اخبرنى ما كان من امر عين اهله وكيف كان عاقبة شدته وهل

خلصته العجوز من وثاق الذئب ام لا فان نفسي الى علم ذلك
متطلعة واراك الليلة صالح الحال فقال الوزير سمعا للقول
وطاعة لامرك ثم اقبل عليه يحدثه فقال ان عين اهله اقام
على حالته موثقا طول ليلته تلك فلما اصبح دخل الذئب فتهدده
بالقتل وزاده الى وثاقه قيدا ثقيلا وخرج عنه فقطع عين
اهله نهاره ذلك بالاماني فلما جنه الليل قلق واستوحش فبكى
وانتحب وجاءت العجوز فاضرمت نارا قريبا منه وجلست
تصطلى ثم اقبلت على عين اهله فقالت له تعز واصبر واذكر
مصايب الناس فتأس بهم ولا تذهل عن النعمة العظمى في
حفظ نفسك فقال لها عين اهله لقد صدق القائل هان
على الطليق ما لقي الاسير فقالت له العجوز ايها الفتى انحداثة
السن قصرت بك عن ادراك كثير من الحقائق فاسمع حديثا
لك فيه سلوة قال نعم فانعمي علي به فقالت العجوز له ذكر
ان تاجرا مكثرا كان له ابن ليس له ولد غيره وكان شديد المحبة
له والشفق به فاتحفه بعض معارفه بغزال قد شدن
صغير فعلق به قلب الغلام ولد التاجر فكان لا يفارقه وجعل
اهل الغلام على ذلك الغزال حليا نفيسا وارتبطوا له شاة
ترضعه حتى اذا اشتد الغزال وشدن نجم قرناه فقال
الغلام لاهله ما هذا الذي في راس الغزال قالوا قرناه فاعجبه
سوادهما وبريقهما فقيل للغلام انهما سيكبران ويطولان
حتى تكون صفتهما كيت وكيت فقال الغلام لابيه احب
ان ارى ظبيا له قرنان كبيران فامر ابوه فصيد له ظبي ثني
السن قد استكمل قوة ونموا فاعجب به الغلام واكرمه اهله
وحلوه وانسوه فانس والف الغزال الظبي لمجانسة
الطبيعة فقال الغزال للظبي ما ظننت قبل ان اراك ان لي

في الارض شكلا ثم لما رايتك وقع في نفسي ان لي اشكالا
سواك فقال له الظبي نعم ان اشكالك لكثيرة فقال
له الغزال اين هي فاخبره الظبي بتوحشها وانفرادها
في فلوات الارض فرارا من الناس وحدثه عن مراتعها ومواردها
وازدواجها وتناسلها فارتاح الغزال لما سمع من الظبي
وتمنى ان يراها فيكون معها فقال له الظبي هذه امنية لا
خير لك فيها وانت قد نشأت في رفاهية من العيش وامنة
لا تعرف غيرها ولو حصلت فيما تمنيت لتعبت وكان يقال
ثلاثة من لم ينزلها بمنزلتها ويرع لها حقها اسرعت له
مفارقته والتحول عن قربه وهي الملوك والعلماء والنعم
وكان يقال الاماني في الشدة ارتياح وفي الرخاء جماح
فلا ينبغي ان يأذن العاقل لنفسه من الاماني الا في المقدار
الذي يؤنس الوحشة وينفس الكربة فان استيلاء
الاماني على النفوس كامر السفل الذين يعيدون الرؤس
اعجازا والاعجاز رؤسا ويسعون في قلب الاعيان
وتغيير صورة الصواب فقال الغزال للظبي لا بد لي من
اللحاق باشكالي فلما رأى الظبي ان الغزال غير منته وخاف
عليه ان يقع به قبل بلوغه ما تمناه لانه غر لا يعرف التحرز من
مكايد الانس لم يجد بدا من اتباعه والكون معه ليقضي
حق حرمة الفته اياه فرصد حينا يمكنه فيه الفرار وخرجا
جميعا حتى لحقا بالصحراء فلما عاينها الغزال فرح ومرح وذهب
يعدو ولا يثنيه شيء فسقط في اخدود ضيق قد قطعه
السيل فنشب فيه وانتظر ان يأتيه الظبي ليخلصه فلم يأته
فبقي هناك واما ولد التاجر فانه لما اصبح وعدم الغزال
والظبي جزع لفقدهما واشفق ابوه عليه فاستدعى كل من

يعانى الصيد بذلك البلد فعرفهم القصة وكلفهم طلب
الظبى والغزال ووعد من وجدهما له وعدا مرغوبا فيه
فانبثوا فى سهل الارض وحزنها يطلبون وركب التاجر
دابته وفرق اتباعه على باب المدينة ينتظرون من يأتى
من الصيادين فانطلق هو وعبدان من عبيده حتى اتوا
الصحراء فرأى رجلا على بعد مكبا على شئ بين يديه فاسرع
نحوه فاذا هو صياد قد اوثق ظبيا وهو يريد ذبحه
فتامله التاجر فاذا هو ذلك الظبى الذى يطلبه فخلصه
من يدى الصياد وامر عبيده ان يفتشاه ففتشاه فوجدا
معه الحلى الذى كان على الظبى فسأله كيف ظفر بالظبى
واين وجده فقال انى بت فى الصحراء اتصيد فنصبت
شركا وكنت قريبا منه فلما اصبحت جاء هذا الظبى ومعه
غزال فمر الغزال يعدو ويمرح فى جهة غير جهة الشرك
وجاء هذا الظبى يمشى حتى حصل فى الشرك فاخذته وقصدت
به المدينة فلما بلغت هذا الموضع ظهر لى انى مخطئ فى
ادخال الظبى المدينة حيا لعلمى انه اذا رؤى طولبت
بما كان عليه من الزينة فاردت ان اذبحه وادخل به لحما
وهذا خبرى فقال التاجر فما كان عليك لو اطلقته وحصلت
انت على حليه وزينته ولقد صدق القائل لا يدخل
الشره مدخلا الا اعقبته الحرمة ولا يدخل البخل مدخلا
الا اعقبته الحسرة الا ترى ان من حمله البخل والشره على
اكل اللقمة التى عافتها نفسه كان متعرضا للحرمة بتهوع ما
اكله وللحسرة عليه عند مفارقته ثم ان التاجر بعث بالظبى
الى ولده مع احد عبديه وقال لذلك الصياد ارجع معى
فأرنى الجهة التى رايت الغزال يسعى نحوها فرجع به الى

تلك الجهة وجعل الصياد يفتش ويشرف على المواضع
المرتفعة ومشى التاجر على رسله فسمع رنين الغزال
وهو صوته فصاح به التاجر فلما سمع الغزال صوته
عرفه فصوت واتبع التاجر الصوت حتى قام عليه واذا
هو في اخدود ضيق اى شق ضيق في الارض منتشبا فيه
فاخذه ونادى الصياد فوهبه دراهم وصرفه ورجع
التاجر بالغزال الى ولده فكملت مسرة الغلام وصار الظبي
يتجنب الغزال اذا رآه ولا يألفه كما كان فاذا احصل
معه فى موضع نفر منه اشد النفار فتنغصت مسرة الغلام
لذلك وجهد اهله بكل حيلة ان يجمعوا بين الظبي والغزال
على حال ألفة وسكون فلم يقدروا على ذلك فبينما الغزال
يوما نائم في بيت اذ دخل عليه الظبي فعاتبه على نفاره
منه وطول هجرانه له فقال الغزال انسيت غدرك بي
احوج ما كنت الى عونك واوثق ما كنت بنصرتك فقال
له الظبي انى لم اغدر ولم اخن ولكن عدم رسوخك في
علم التجربة اوقعك فى تهمة البرئ وانى لم اتأخر عن
تخليصك مما حصلت فيه الا مضطرا الى التأخر عنك عاجزا
عن المبادرة اليك وقص عليه قصته وانه حصل في شرك
الصياد فعلم الغزال عذره وعاد الى تألفهما قال فلما سمع
عين اهله حديث العجوز وفهم ما ارادته من ذكر عجزها
عن تخليصه امسك عن خطابها قيل فلما انتهى وزير سابور
من حديثه الى هذا الحد سكت فقال له المطران ايها
الحكيم الراهب ما هذا السكوت لعلك تريد أن تؤخر اخبارى
بما كان من عاقبة عين اهله وما لقي من الذئب وما صنعته
معه العجوز فقال الوزير انى لعاجز عن ذلك لفتور احد

فى اعضاءى فقال له المطران لا تفعل فان ذلك يسوءنى
ويشق على احتماله فاحمل على نفسك الليلة ايها الحكيم
فانى راغب فى تانيسك معجب باحاديثك فقال الوزير
افعل ذلك طلبا لمرضاتك ولو علمت ايها المطران ما ادخرت
لك من عجائب الاخبار وغرائب الاسمار لعجبت من ذلك
اشد العجب ثم اندفع يحدثه فقال ان عين اهله لما سمع
حديث العجوز وفهم ما ارادته امسك عنها ولبث
ليلته تلك باسوء حال ولما اصبح دخل عليه الذئب فنال
منه وتعتعه وعنفه وهدده بالقتل وزاده قيدا الى قيده
وعرف ان لا ناصر له عليه ولا مخلص له من يديه وخرج عنه
فجعل يعلل نفسه بقية نهاره ويمنيها الفرج فلما اقبل عليه
الليل استوحش واحتوشته الافكار المرضة وانتظر
ان تجلس اليه العجوز وتحادثه فلم تفعل وجعلت العجوز تكثر
الدخول الى البيت الذى فيه عين اهله ولا تستقر فيه
فساء ظن عين اهله وايقن بالهلكة وما شك فى ان الذئب
يقتله فى تلك الليلة فاقبل على البكاء حتى اذهب صدرا
من الليل ثم قال للعجوز ما لك لم تؤنسينى فى هذه الليلة
بحديثك ولا جلست الى فجلست اليه وقالت له اما كان لك
فى رؤيتى قطعاء جدعاء مشوهة عوراء سيئة الحال
ما يحملك على التاسى والتسلى واحمد الله واشكره فى سلامة نفسك
ومعافاتك من بلاء هو اعظم من بلائك حتى قلت هاتنا على الطليق
ما لقى الاسير ولو اعتبرت باطن حالى بما ظهر لك منها لعلمت
ان اسرى هو اشد من اسرك واستمع الى احدثك حديثى
اعلم ايها الفتى انى كنت زوجة لبعض الفرسان وكان
انى محسنا ولى رفيقا ولى محبا فكنت معه فى ارغد عيش

واهناه فلبثت بذلك مدة طويلة وولدت له اولاداً
ذكوراً واناثاً فكبروا في رفاهية ونعمة فغضب الملك
على زوجي لامر كان منه فقتله وقتل ذكور اولاده وباعنا
متفرقات فاشتراني هذا الفارس الذي عدى عليك
واحملني الى هذه القرية واساء علي وكلفني من العمل ما لا
طاقة لي به واكثر معاقبتي على غير ذنب لما طبع عليه من
القسوة والفظاظة فسألته مراراً ان يرفق بي واستعنت
عليه باخوانه ومن يكرم عليه لكي يخفف عني او يبيعني
فلم تزده الشفاعات والسؤال الا قسوة عليَّ واضراراً بي
فلبثت بذلك سبع سنين ثم فررت منه فتبعني فادركني
فجدع انفي ثم عاود قسوته علي واضراره بي وعاودت
مسألته والاستشفاع اليه وهو مقيم على سوء رايه
فيَّ فمكثت بذلك سبع سنين اخرى ثم فررت منه فظفر بي
ففقأ عيني وعاود عسفي فمكثت سبع سنين اخرى ففررت
منه فظفر بي فقطع يدي وقال لي انما بقي من اعضائك
التي انتفع بها عينك ويدك فان فررت بعدها قطعت
رجليك معاً وابقيتك انتفع بعينك في الحراسة وبيدك
في العمل واقسم على ذلك بغليظ الايمان وعاود عسفي
ومضرتي وقد عزمت على ان اخلصك الليلة واقتل نفسي
بيدي طلباً للراحة مما انا فيه ولهذا رايتني اكثر الدخول
اليك والخروج عنك وانما ذلك لحيرتي وجزعي من الموت
وقد طابت نفسي على الموت ثم انها فتحت قيود عين اهله
وقطعت وثاقه وتناولت سكيناً فقال لها عين اهله
لئن تركتك تقتلين نفسك لقد اشركتك في دمك وانتزع
السكين من يدها وقال لها قومي اذهبي معي لكي ننجو معاً

او نعطب معا فقالت له ان كبر سني وضعف بدني
ليمنعاني من اتباعك والهرب معك فقال لها ان الليل
متسع والموضع الذي نأمن اذا وصلنا اليه قريب
وبي قوة على حملك فقالت العجوز اما اذا عزمت على هذا
فاني لا احوجك الى حملي مادامت بي مسكة وخرجا معا
فلم ينقض الليل حتى بلغا الى حيث أمنا فجزاها عن اهله
خيرا بما صنعت واتخذها اما يسمع لها ويطيع هذا ما بلغني
من ذلك فقال المطران ما اعجب احاديثك ايها الحكيم ولقد
وددت ان لا افارقك ابدا وان سفري هذا يطول
لتطول متعتي بك ويعظم حظي من أنسك ولقد استعذبت
مفارقة الاهل والوطن لقربك ونهض كل واحد منهما الى
مضجعه وبات سابور يتصفح حديث وزيره ويتامل
امثاله ففهم ان الغزال مثل لسابور وان الظبي مثل للوزير
وان خروج الظبي مع الغزال الى الصحراء مثل لصحبة سابور
ووزيره حتى حصل سابور في حبس قيصر وان نفار
الغزال عن الظبي لسوء ظن سابور بوزيره لتأخره عن
استنقاذه وعلم ان الوزير قد عزم على تخليصه والخروج
به الى المدينة ليلا وان المدينة قريبة منهما وان يحمله
ان عجز عن المشي فأيقن سابور بقرب الفرج ولما كانت الليلة
القابلة تلطف وزير سابور حتى دخل الخيمة التي يطبخ فيها
الطعام للمطران وللموكلين بحفظ سابور على حال خلوة
فألقى في جميع الاطعمة مرقدا قوي الفعل ولما حضر طعام
المطران انفرد الوزير بالاكل زاده على ما جرت به عادته فلم
يكن الا ساعة حتى استحوذ المرقد على جميعهم فانجدلوا في
مواضعهم صرعى على مراصدهم ومضاجعهم وبادر الوزير

ففتح باب الصورة عن سابور واستخرجه وازال
الجامعة من عنقه ويديه وتلطف حتى اخرجه من عسكر
قيصر وقصد به نحو جندى سابور وهي مدينة
ملكه فانتهيا معا الى سورها فصرخ بها الموكلون
بحراسة السور فتقدم الوزير اليهم وامرهم بخفض
اصواتهم وعرفهم نفسه واعلمهم بسلامة ملكهم
فابتدروا وادخلوهما المدينة فقويت نفوس اهلها وامرهم
سابور بالاجتماع وفرق فيهم السلاح وعهد اليهم ان
يأخذوا اهبتهم فاذا ضربت الروم نواقيسهم الضرب
الاول خرجوا من المدينة واقتربوا من عسكر الروم وقاموا
على تعبية وتأهب حتى اذا ضربت النواقيس الضرب الثاني
حملوا باجمعهم كل فرقة على من تليها فامتثلوا امره وانتخب
سابور كتيبة عظيمة فيها اشجع اساورته وقام معهم
فيما يلي الجهة التي فيها اخبية قيصر فلما ضربت النواقيس المرة
الثانية حملوا من كل جهة وقصد سابور اخبية قيصر ولم
تكن الروم متاهبين لعلمهم بضعف الفرس عن مقاومتهم
وانهم قد بنوا ابواب مدينتهم فما شعروا حتى دهمتهم
الفرس واخذ سابور قيصر اسيرا وغنم جميع عسكره
واحتوى على خزائنه ولم ينج من جنوده الا الشريد وعاد
سابور الى قرار ملكه فقسم الغنائم بين اهل عسكره وافاض
الصلات على جميع من في مدينته بقدر احوالهم واحسن
الى حفظة ملكه وشرفهم وفوض جميع اموره الى وزيره
الذى خلصه ثم احضر قيصر فاكرمه ولاطفه وقال
له اني مبق عليك كما ابقيت علي وغير مجازك بتضييق
محبسي ولكني أواخذك باصلاح جميع ما افسدت من جميع ممالكي

ص ٤١

فتبني ما هدمته وتغرس مكان كل نخلة قطعتها زيتونة وتطلق كل من كان في مملكتك من اسارى الفرس فضمن له قيصر ذلك كله ووفى له به ولما انتهى في الاصلاح الى بناء ما انثلم من سور مدينة جندي سابور قال سابور لقيصر انما تبنيه من تراب بلادك فامر قيصر عيته من الروم ان تحمل التراب من بلادهم الى جندي سابور فرفع به ما انثلم من سورها ولما اتم لسابور ما اراد من ذلك كله احسن اليه واطلقه الى دار مملكته بعد ان قال له خذ اهبتك واستعد عدتك فاني غاز ارضك عما قريب قال المولف رحمه الله قد بلغت بهذه السلوانة الغاية التي يحتملها هذا الكتاب فالحمد لله على ما تيسر من ذلك والله اعلم

السلوانة الثالثة وهي سلوانة الصبر

وهي ثمرة التاسي قال ربنا تقدس اسمه مخاطبا صفيه المكين لديه ونبيه العزيز عليه واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون وهذا لما تالب المبطلون عليه وقصدوا بالمكر والمكروه اليه كما اخبر الله سبحانه وتعالى بقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك وكان رؤساء قريش اجتمعوا في دار الندوة باجمعهم ليتشاوروا في امر النبي صلى الله عليه وسلم واتاهم ابليس في صورة شيخ اعرابي فارادوا اخراجه عنهم فقال لهم اني من اهل نجد ولا عين عليكم مني وقد بلغني ما اجتمعتم عليه ولعلكم لا تعدمون في محضري خيرا فاخذوا في تشاورهم فقال عتبة ارى ان تخرجوه من بين اظهركم فان ظفر كان ظفره حظا لكم وان قتل كنتم قد كفيتم امره فقال ابليس ما هذا راى اما سمعتم حلاوة منطقه

واخذه

واخذه بالقلوب فلا تأمنوا ان يقع في حي من احياء العرب
فيستفسد اهواهم ويسير بهم اليكم حتى يفرق جمعكم
فقال الخراسانى يوثق ويحبس حتى يأتيه اجله وهو في حبسه
فقال ابليس ليس هذا برأى اما علمتم ان له اهل بيت
واتباعا لا يرضون منكم بهذا فيقع الحرب بينكم وبينهم
ثم قد تكون الدائرة عليكم فقال ابو جهل ارى ان ناخذ
من كل قبيلة من قبائل قريش شابا جلدا ونعطى كل رجل منهم
سيفا ويأتونه في مضجعه فيضربونه ضربة رجل واحد
فلا يقدر اهله ان يطالبوا بدمه جميع القبائل اذا
افترق دمه فيها فقال ابليس لقد اصاب الرأى فتفرقوا على
رأى ابي جهل واوحى الله سبحانه وتعالى الى رسوله عليه
الصلاة والسلام يعرفه مكرهم وامره بالهجرة الى طيبة
وجاء الذين عينوهم من القبائل للفتك برسول الله صلى
الله عليه وسلم الى منزله من اول الليل فامر النبي صلى الله
عليه وسلم عليا رضي الله عنه ان يلبس برده الاخضر
وينام على فراشه وخرج النبي صلى الله عليه وسلم من
بيته والقوم على الباب فقرأ اوائل سورة يس والقرآن
الحكيم واخذ كفا من التراب وجعل يذره على رؤس القوم
وهم لا يرونه وانصرف صلى الله عليه وسلم نحو الغار
وجعل المشركون ينظرون الى على في مضجع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعليه برده الاخضر فيقولون
هذا محمد نائم ولا يطيقون الدخول حتى اصبحوا وقام
على رضي الله عنه فنظروا اليه وقالوا اين محمد فقال لا ادري
امرتموه بالخروج فخرج فحبسوه في المسجد ساعة ثم تركوه
خبر نبوى في الصبر مما رويناه ان النبي صلى الله عليه وسلم

قال العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل
قائده والرفق والده والبر أخوه والصبر امير جنوده
فناهيك بخصلة تتأمر على هذه الخصال ولیس المراد
تفضيل الصبر على العلم والعقل وما ذكر من الخصال معهما
ولكن المراد ان بالصبر يكون الثبات على هذه الخصال لمن اتصف
بها لان معنى الصبر الثبات والحبس والامساك فمن
اتصف بشيء من هذه الخصال ولم يتصف بالصبر عليه
والملازمة له كان عند مزايلته كمن لم يتصف به فالصبر
لهذه الخصائص الشريفة ضابط ضبط الامير جنوده من
مزايلة مراكزها والاخلال بما نصبت له من دفاع وانتفاع

منثور ومنظوم من الحكم في الصبر

روى ان عليا رضي الله عنه قال الصبر مطية لا تكبو وقيل
مما كتب في الصحيفة الصفراء المعلقة في اعظم هياكل الفرس
كما ان الحديد يعشق المغناطيس فكذلك الظفر يعشق الصبر
فاصطبر تظفر اعلم رحمك الله ان ظل الصبر ظليل ومضله
ذليل وان الصبر درج يفضي بمن عرج الى الفرج وان اقل
فوائد الصبر على البلية ان الصابر عليها ينغص لذة عدوه
والمتشفي الشامت به والصبر صبران صبر العامة وهو
عمل اشباح وصبر الخاصة وهو عمل ارواح وقد احكم هذا
المعنى حبيب بن اوس فقال

ولباس سرد الصبر مدرع له في الحادث الحال ادراع اللأم
والصبر بالارواح يعلم فضله صبر الملوك وليس بالاجسام

قوله ادراع اللام اى الدروع والدرع لامة وجمعها
لام وقال حبيب ايضا فاحسن

واذا رأيت اسى امرء او صبره يوما فقد ابصرت صورة رأيه

وقال نهشل بن جرى

ويوم كان المصطلين بحره ... وان لم تكن نار قيام على الجمر

صبرنا له حتى يبوخ وانما ... تفرج ايام الكريهة بالصبر

قوله يبوخ اى يخبو وهما سواء وقلت فى ذلك

على قدر فضل المرء تاتى خطوبه ... ويعرف عند الصبر فيما يصيبه

ومن قل فيما يتقيه اصطباره ... فقد قل مما يرتجيه نصيبه

وقال بعضهم

الصبر اولى بوقار الفتى ... من قلق يهتك ستر الوقار

من لزم الصبر على حاله ... كان على ايامه بالخيار

وقال عمرو

ومقعد كربة قد كنت منه ... مكان الاصبعين من القبال

صبرت لها وكنت لها خافا ... اذا احام اللئام على النزال

فهذا والمنية من ورائى ... ستطرقنى بها احدى الليالى

قال المؤلف عفى الله عنه هذا انموذج من القول فى الصبر فى الجملة وهو يتنوع انواعا والنوع اللائق بكتابى هذا منها هو صبر الملوك وصبر الملوك عبارة عن ثلاث قوى القوة الاولى قوة الحلم وثمرتها العفو والقوة الثانية قوة الكلاءة والحفظ وثمرتها عمارة المملكة والقوة الثالثة قوة الشجاعة وثمرتها فى الملوك الثبات واما ثمرتها فى حماة المملكة من المقاتلة فالاقدام فى المعارك ولا يراد من الملك الاقدام فى المكافحة فان ذلك من الملك تهور وطيش وتغرير وانما شجاعة الملك ثباته حتى يكون قطبا للمحاربين ومعقلا للمنهزمين وهذا ما دام عضرته من يتق بذبه عنه ودفاعه دونه وحمايته له فلقد ذكروا عن الفرس ان فيلا اغتلم اى هاج شبقا فدخل قصر كسرى انوشروان والفيل اذا

اغتلم انكر سواسه ولم يثبت له شئ الا اتى عليه قالوا
وان ذلك الفيل قصد المجلس الذى كان فيه كسرى ومعه
جماعة من كفاة اصحابه فلما راى الذين مع كسرى ان الفيل
قد قصدهم فروا من المجلس وثبت كسرى على سريره
وثبت معه رجل من اساورته كان مكينا عنده يثق
بثباته فقام ذلك الاسوار بين يدى سرير كسرى
وبيده طبرزين وقصده الفيل فثبت له حتى غشيه
فضربه بالطبرزين على فطسته فكر الفيل راجعا من
حيث جاء وقد نالت منه المضربة منالا شديدا ولم
يتخلخل كسرى عن مجلسه ولا تغيرت هيئته ولا فارقته
ابهته فهذه غاية الشجاعة المطلوبة من الملك فان لم
يكن بحضرة الملك من يثق بدفعه عنه حسن حينئذ
منه ان يذب عن نفسه اما بالاقدام على العدو ان غلب
على ظنه الامتناع منهم بالاقدام عليهم او بانهزامه ان
اتاه ما لا قبل له به واشفق من عطب رعيته بهلكه كما
حكى ان موسى الهادى كان يوما فى بستان ومعه اهل
بيته وبطانته وهو راكب على حمار وليس معه سلاح
فدخل عليه حاجبه فاخبره ان رجلا من الخوارج جيئ به
اسيرا وكان الهادى حريصا على الظفر به فامر بادخاله
فادخل بين رجلين قد امسكا بيديه فلما رأى الخارجى
الهادى جذب يديه من الرجلين اللذين كانا يمسكانه
واخترط سيف احدهما ووثب نحو الهادى ولما رأى
ذلك من كان حول الهادى من اهله وخاصته فروا جميعا
وبقى الهادى وحده فثبت على حماره بمكانه حتى اذا قرب
الخارجى منه وكاد ان يعلوه بالسيف قال الهادى اضرب

عنقه

عنقه يا غلام فالتفت الخارجي حين سمع ذلك ووثب
الهادي عن سرجه فاذا هو على الخارجي وسقط الخارجي
تحته فقبض الهادي على يده وانتزع منه السيف فذبحه
به ثم عاد الى ظهر حماره من فوره وتراجع اليه خاصته
واهله يتسللون وقد ملئوا منه رعبا وحياء وما خاطبهم
في ذلك بحرف واحد ولم يكن بعد ذلك يفارقه
سيفه ولا يركب الا الخيل وقد جلا عنك هذا الخبر ما ايد
الله به موسى الهادي من ثبات الجاش واصابة الراي
وشدة الكيد وشجاعة القلب وقوة البدن رحمة الله
عليه روضة رائقه ورياضة فائقه
قيل وصف لكسري انوشروان ارض من التخوم الهندية
تتاخم اقليم بابل فذكرت له بحسن المنظر وطيب الهواء والماء
وكثرة الاناوه وزكاة الاثمار وكثرة العمائر وحصانة
المعاقل ووصف له اهل تلك الارض بعظم الجسوم وبلادة
الفهوم وشجاعة القلوب وقوة الابدان والصبر على
العمارة وملازمة الطاعة ولين المقادة فشرهت نفس
كسري الى تملك تلك الارض والتكثر باهلها وكان يقال
الشره اعرق الخصائل في اللوم فالحرص ابوه الذي يولده
والبغي ابنه الذي يلده والطمع شقيقه والذل رفيقه
وكان يقال من شره وقع فيما كره وكان يقال الشره شرة
ينتجها طبع ويهيجها طمع قيل فلما طمحت نفس انوشروان
الى تملك تلك الارض سال عن ملكها فاخبر بانه عظيم من
اركنة الهند وانه شاب منقاد لشهواته مقبل على لذاته
الا انه سالك صراطا من العدل لا يجور ومالك منهلا من
البذل لا يغور في ورافة رعيته قد اشربت قلوبهم وده

وصرفت امالهم الى ما عنده فندب له كسرى رجلا من
ثقاة اصحابه قد اقتبس ادبا من اداب الملوك وتفقها
في سياستهم وكان ذا دهاء ومكر وخديعة وفكر
فامره بتامل مسالك تلك الارض والبحث عن ثغورها
ومعاقلها وتطلب عوراتها وتفقد اخلاق ملكها واهلها
وكتب معه كتابا الى ذلك الاركن يدعوه الى الدخول
في طاعته ويحذره التعرض بصولته بمخالفته فانطلق
ذلك الرسول حتى قدم على الاركن فاحسن في نزله وبالغ
في بره وتكرمته وعمى عليه الاخبار وبالغ في قبضه عن
التصرف وفي قبض الناس عن لقائه واحتجب عنه ولم يستمع
الكتاب منه وندب لاختباره وعلم ما قصد له رجلا من
دهاة اصحابه فامره بالتجسس على انبائه والتلطف في مداخلته
ومخاتلته فانطلق ذلك الجاسوس فاكترى حانوتا بجوار
ذلك الرسول وملأه فخارا وجلس فيه ليبيع ذلك
الفخار وكان للرسول غلام يخف في حوايجه ويتصرف في
مآربه فجعل الجاسوس اذا رأى ذلك الغلام هش له واكرمه
وسأله عن حاله من حاجة الى ان أنس به الغلام فكان
يجلس اليه ويستعين به على امره فلبث كذلك مدة
لا يسأله عن شيء من امر سيده فلما تأكد انس الغلام به
قال له يوما من تكون ومن يكون لك في هذه الدار
التي تدخلها فقال له الغلام صحبتني منذ كذا وكذا ولا
تعرفني فقال له الجاسوس وما علمي فقال له انا غلام
رسول كسرى وسيدي في هذه الدار فقال الجاسوس
ومن كسرى وما رسوله فقال الغلام كسرى ملك
بابل ارسل سيدي الى ملك ارضكم فقال الجاسوس قد عرفت

حين

حين ذكرت لى بابل لانى كنت فى صباى اجير الرجل من
اهل بابل ثم امسك عن الغلام اياما لا يسأله عن شئ
وكان يقال السفر نغير وقيل التنقيب يرهب الاريب
وقيل من تسرع الى الامانة فلا لوم على من اتبعه بالاضاعة
ومن تسرع الى المشاركة فى السر فلا لوم على من اتهمه
بالاذاعة ومن تنصح قبل ان يستنصح فلا لوم على من اتهمه
بالخداع ومن عنى بكشف ما ستر عنه فلا لوم على من اتهمه
بالخبث فى الطباع قيل ثم ان الجاسوس قال للغلام يوما
اذا خرج استاذك فأرنى اياه فقال الغلام ان مولاى
لا يتصرف فقال الجاسوس امريض هو قال الغلام لا
ولكن ملككم حصر عليه الخروج وعلى الناس الدخول عليه
فبكى الجاسوس فقال الغلام له ما الذى ابكاك فقال له
الجاسوس ابكتنى الرحمة لمولاك مما هو فيه لانى ابتليت
بمثله وذلك انى حبست مرة فى دين كان على ومنعت امرأتى
من الدخول الى فلولا ان الله من على برجل كان محبوسا
معى فكان يسلينى بحديثه وانسه لهلكت غما فهل تحدث
مولاك وتسليه فقال الغلام انى لا اعرف هذا ولا ادرى
خبرا اطرفه به فقال الجاسوس له افلا ادلك على ذلك قال
الغلام بلى فأحسن الى بذلك فقال له الجاسوس اذا خرجت
من عند مولاك فطف فى المدينة وتأمل ما تراه فيها واذا
رأيت جماعة يتحدثون فاجلس اليهم واستمع ما يفيضون
فيه فاذا رجعت الى سيدك وخلوت معه فقل له رأيت
اليوم كذا وكذا وسمعت من يقول كيت وكيت لان فى
هذا تسلية له وانسا من وحشته ويوشك اذا فعلت
ذلك ان تحظى به عنده ففعل ما امره به الجاسوس فقال له

سيده من ذلك على فعل هذا فقال الغلام انا فطنت له
ففعلته فقال له سيده كلا ليس هذا في قوى عقلك
فأخبرني بمن دلك عليه فقال الغلام دلني عليه جار لنا
يبيع الفخار ما رأيت اجهل ولا ابله منه فقال له سيده
ما الذي دلك على جهله وبلهه فقال الغلام انه صحبني
اكثر من شهرين ولا يعرف من انا ولا من سيدي وذكرت
له الملك كسرى فاذا هو لا يعرفه فلما سمع الرسول استراب
به وحس انه متجسس عليه لما رأى انه قد افرط في تجاهله
وكان يقال من افرط فهو كمن فرط ومن احتفل في غلوه
استفل عن علوه وكان يقال ما دل على الاحوال كالاقوال
ولا هتك قناع العقول كسماع المعقول وكان يقال من
لم تعرفك غائباً اذناه لم تعرفك شاهداً عيناه قيل فلما
سمع الرسول مقالة عبده امره ان يأتيه به ففعل فلما
رآه الرسول حقق ما كان ظنه به من كونه جاسوساً
عليه فاكرمه وقربه وتظاهر له بغباوة وجهل لا
مزيد عليهما وسأله ان يواصل زيارته فلبث الجاسوس
متفقداً حال الرسول في ليله ونهاره مدة متراخية
ولما ظن ذلك الجاسوس انه قد حصل ما اراد علمه من
امر رسول كسرى ذهب اليه فاخبره ان ذلك الرسول الذي
قدم لا ذكاء له ولا غناء عنده اكثر من انه ذو نجدة
وفروسية فوثق الملك بقوله وتخيل الرسول بالصورة
التي مثله بها الجاسوس عنده وكان يقال لا يكن سمعك
لاول مخبر ولا ثقتك لاول مجلس وكان يقال اذا كان
الخبر يدخله الصدق والكذب فالقضاء له باحدهما قبل
الامتحان جور وكان يقال انما يقضى بصدق المخبر عصمة

المخبر

المخبر لاصدقه وشرح ذلك ان المخبر الصادق اذا لم يكن
معصوما فهو عرضة للتلبيس وفرصة التدليس وكون
المخبر ثقة صدوقا انما يفيد سلامته من التحريف فيما
نقله ولا يفيد عصمة ادراكه فيما ادركه فقد ينظر الصادق
المغفل الى الشمس فيخبر بانها غير سائرة وينظر الى القمر ودون
مقطعات السحاب فيخبر بانه ادرك سرعة سيره وينظر
من سفينة جارية الى البر فيظن ان البر يجري وينظر الى
افعال الشعوذي فيخبر عن الاشياء بخلاف ما هي عليه ويسمع
كلام الببغا المحجوبة عن بصره فيخبر عن انسان فلم يدخل
الخلل من جهة تحريفه لكن من جهة ادراكه قيل فلما وثق
الاركن بمقالة جاسوسه احضر رسول كسرى فاكرمه
وخاطبه بكل قول حسن واخذ منه الكتاب وخلع عليه
واجزل صلته ورده الى منزله مكرما مبرورا واباح له
التصرف واذن لمن اراد قصده في زيارته وتابع اتحافه
وتكرمته ولبث بذلك عاما ثم استحضره وسلم اليه جواب
كتابه واعطاه هدية الى كسرى يقال ان منها سيفا طوله
خمسة اشبار ولونه كلون النحاس الاحمر يعمل في الحديد
كما يعمل غيره في الرصاص وصحفة من الياقوت الازرق
تسع منا من الطعام وكاسا من الزمرد البحري يسع رطلا
من الشراب والف درة فريدة وقنديلا من الماس فيه ياقوتة
حمراء كبيضة الحمام اذا علق في بيت فيه مصباح ليلا
التقى شعاع الياقوتة على الالوان المقابلة للحمرة فلا يشك
في حمرتها وطيبا كثيرا ودروعا ودرقا وغير ذلك وخص
الرسول بحباء وذخائر كثيرة نفيسة وصرفه الى مرسله
فلما قدم الرسول على كسرى ساله عما ندبه اليه ليعرفه فاخبره

بطيب تلك الارض وفضائل خصها نصها وشرف مزاياها
وحصانة ثغورها وانه لم يجد لها عورة تؤتى منها الا اغراء
سكانها فان عقولهم متهيئة لقبول الخدع محجوبة عن النظر
في العواقب وان هذا هو موجب حسن طاعتهم لمن القوا
حسن طاعته فلو ندب اليهم رجال يحسنون نصب الدعوات
الى الدول لاستمالوهم وصرفوا طاعتهم عن ملكهم فاذا
انصرفت طاعتهم لم يقم لملكهم بعد ذلك قائمة لانهم
اعضاده الذين يصول بهم في الرخاء ثمار مجتناه وفي
البلاء سيوف منتضاه فنظر كسرى فيما كتب اليه به الاركن
فوجده قد خاطبه بالملاطفة واعترف بفضله وتملقه
ورغب اليه في الموادعة والمؤاخاه فاستشار انوشروان
وزراءه في امره واعلمهم ان نفسه لا تطيب بمسالمته
فاختلفوا عليه فاجمع رأيهم على ان ترد هديته اليه ففعل ثم انه
ندب لاستفساد رعيته رجالا يحسنون نصب الدعوات
وقلب الدول وامدهم بالاموال وازاح عللهم وبين لهم
مثالا يحذون عليه فنفذوا لما امرهم به حتى انتهوا الى
مملكة ذلك الاركن فتفرقوا فيها واعمل كل واحد قوته فيما
انتدب اليه فلما اتى عليهم عامان احكموا ما ارادوا في مملكة
ذلك الاركن وفي غيرها من مدنه وحصونه ورساتيقه
وكتبوا بذلك الى كسرى فحرك اليهم المرزبان المتولي ربع
المملكة المقابل لتلك الجهة الهندية وذلك ان اقليم بابل
كان مصروفا الى اربعة مرازبة لكل مرزبان منهم ربع
منه ومع كل مرزبان منهم خمسون الف مقاتل فلما شرع
ذلك المرزبان في الحشد والاعداد كتب عيون الاركن
بتلك الجهة اليه يخبرونه بان المرزبان المجاور لجهة بلاده

قد اخذ

قد اخذ فى حشد الاجناد وتأهب للاستعداد فعلم الاركن
انه قاصده ونجم النفاق ببلده وتحدث الناس بقصد
المرزبان اليه واكثروا الاراجيف فانتبه الاركن من
غفلته وبحث عن الامر فوقف على حقيقته وكان امر
مملكته يدور على خمسة رجال اربعة منهم وزراؤه
والخامس هو صاحب بيوت النيران ورئيس الزمازمة
والذى يأخذون عنه دينهم فجمعهم الاركن وعرفهم
ما بلغه من فساد قلوب رعيته وحشد المرزبان لقصد
بلاده واظهر لهم الحاجة الى كفايتهم فجلسوا يتناظرون
فى ابتغاء صواب الرأى فقال احد الوزراء الاربعة الرأى
ان يستصلح الملك رعيته فيملأ ايديهم رغبات وقلوبهم
املا حتى يستقيم معوجها ويأنس نافرها فان عدونا
اذا علم بذلك جبن عن الاقدام علينا وان اقدم لقيناه بكلمة
مجتمعة وايد متناصرة فقال رئيس الزمازمة انما يصلح
هذا من الرعية لو كان فسادها انما اوجبه هضم جور
اوعسف سير فيزال عنها سبب فسادها فتصلح وليست
رعية الملك بهذه الصفة وانما اورد عليها الفساد جهلها
بمواقع الصواب وبطرها الترادف فى النعم وقد قيل اربعة اذا
افسدهم البطر لم تردهم التكرمة الا فسادا الولد والزوج
والخادم والرعية وضربوا لذلك مثلا القوى الاربع
المزدولة اذا هاجت لتعدى حدود المصلحة وهى الغضب
اذا تعدى حد الشجاعة وحد الانفة من الرذائل والشهوة
اذا تعدت حد راحة العقل من كد اكتساب الفضائل
والحرص اذا تعدى حد الكفاية والكسل اذا تعدى
راحة الجسد من كد اكتساب المصالح فان هذه القوى الاربع

اذا تعدت هذه الحدود ولم تردها المداراة والرفق الاهيجانا
وطغيانا وانما تعالج بحسم موادها فقال الملك صدق
الحكيم ثم قال وزير آخر من الوزراء الاربعة الرأى
عندى ان تضرب بمن صلح من الرعية من فسد منها
حتى تستقيم وتستوثق لنا ثم نلتقى عدونا بمن لا نخاف
دغله ولا نخذ رغشه لانا مضطرون الى الحرب لكون
عدونا لا يرضيه الا اخذ ما بايدينا جملة فقال رئيس
الزمازمة هذا انفع لعدونا من جيشه وادعى الى طاعته
من دعاته مع انا اذا علم تخربنا فيما بيننا وتناصبنا ذهبت
هيبتنا من نفسه وبلغ فينا امله وقد قالت الحكماء اربعة
من استقبلها بالعنف والردع فى اربعة احوال هلك
بها الملك فى حال غضبه والسيل فى حال صدمته والفيل
فى حال غلمته والعامة فى حال هيجها وتمردها وقالوا ان
اشبه شئ بردع العامة عند تمردها وهيجها معاناة الجدرى
فى حال انبعاثه الى سطح الجسد بالاطلية الرادعة فقال
الملك صدق الحكيم فقال وزير ثالث الرأى عندى ان
تطلب تعيين من فسدت طاعته من الرعية فتميزه ممن
سواه ثم نرى رأينا فيه بما يقتضيه حاله من قلة او كثرة
وضيعة او نباهة وضعف او قوة فنقابله بما يوجبه
حاله من التدبير فقال رئيس الزمازمة البحث الآن عن
هذا خطر عظيم لانه يوحش المريب فيحركه على اللحاق
بعدونا واعتماده بالنصائح ودلالته على عورتنا واذا
التحق بعدونا قاتل معه على بصيرة ليست لعدونا وبذل
جهده فى العود الى وطنه واهله وعدونا لا يقاتلنا
على مثل ذلك وربما لم ينفصل عنك المريب بل يقاومنا

الموضعه

بموضعه ويكاشفنا ويتكبر علينا بشكله من الرعية فنعم
وان لم يكن على مثل رايه بعلة مشاكلته له كما ان الكلبين
لا يمنعهما تعاديهما وتهارشهما من التعاون على الذئب
اذا ابصراه ولا يلتفتان الى تحقق الذئب فى الخلق الكلبي
ولكنهما بافرانه ويصطلحان فى التعاون عليه نظرا الى
خصيصة توحشه وانفته وجرائته فكذلك العامى
لا ينظر الى الملك من حيث تحققه فى الخلق الانسانى
بل ينظر اليه من حيث خصيصة تفرده وانفته وعلو
همته فينافره لذلك ويالف العامى الذى يشاكله وقد
قالت الحكماء ثلاثة ان كاشفتهم بالامتحان فى ثلاثة احوال
خسرتهم مؤدبك فى حال استقلالك وصديقك فى
حال اختلالك وامرأتك فى حال اكتهالك فالرعية كالزوجة
وادبار الدولة كالاكتهال وقالوا مثل ذلك مثل امتحان
قوى مغذى الناقهين من الامراض بالاطعمة الغليظة
فقال الملك صدق الحكيم فقال الوزير الرابع وكان
اوسعهم علما وافضلهم رايا اما انا فاحدث الملك حديثا
اخبرنى به مؤدبى وكان من آخر ما افادنيه وقال لى
اخزن هذا الحديث فى حبة قلبك ولا تتمن ان تعيش الى
اليوم الذى تحتاج فيه اليه وانى لاحسب انه هذا اليوم
فقال له الملك قل نسمع لحديثك فقال رئيس الزمازمة
ما اولاه بالاصابة فقال الوزراء الثلاثة انه لكذلك
فقال الوزير الرابع انما نحن كاصابع الراحة فى افتقار
بعضنا الى بعض وقوة بعضنا ببعض ثم انا نستمد من
من نور عقل الملك السعيد بنظرنا اليه كما تستمد الدرارى
من نور الشمس فكلنا الى الملك محتاج وبه معتضد فقال

الملك قل ايها الوزير الصالح بالقبول والكرامة لك ولن
نبات عنه فانتم فى مناصحتنا والغلق عنا والاداء الينا
كالحواس الخمس للقلب فسجد واله اجمعون ثم قال ذلك
الوزير الرابع زعم مؤدبى ان رجلا موسرا من التجار كان
يأوى من داره الى بيت مبطن السقف وفيما بين ذلك
السقف وبطانته فيران كثيرة فكن فيما شئن وادعين
من الامنة وتيسر الطعمة يمرحن النهار كله على طمانينة
فاذا جاء الليل نزلن من السقف فتفرقن فى مخازن التاجر
ومساكن عياله فاكلن واحتملن فكثر اذا هن على التاجر
وانه دخل يوما مسكنه ذلك فاستلقى فيه مفكرا فى بعض
امره وجعلت الفيران تمرح على بطانة السقف والتراب
يتساقط من خلال الالواح فضجر التاجر ونهض مبادرا
بتحويل ما فى البيت من الاثاث ثم امر عبيده فوضعوا بطانة
السقف فانتشر الفيران فى الدار فقتلن شر قتلة ولم ينج
منهن الا جرذ وفارة كانا غائبين عن السقف فلما رجعا
وابصرا فساد وطنهما ومصارع الفيران فى جميع الدار راعهما
ذلك فاقبل الجرذ على الفارة فقال لها لقد صدق القائل
من صحب الدنيا واتقاها كان كالنائم فى الظل الذى يكون
قبل بلوغ الشمس الى نصف دائرة فلكها الاعلى فيتقلص
الظل عنه بتصويب الشمس فيوقظه حرها ولا يجد للظل
عينا ولا اثرا فقالت الفارة صدقت فما ذا ترى قال
الجرذ ارى ان لا اسكن بموضع ينال منه هذا المنال
وافر من الانس جهدى فان هيجهم شديد وحيلهم مضى من
قوة غيرهم من العالم فقالت الفارة انا معك فانطلقا
حتى اتيا ارضا براز اجرزا ذات اخلاط من الوحوش تكنف

واديا معشبا فيه غدران ماء ذات ضفادع وسلاحف
فاعجبهما ذلك وسارا في الوادي يلتمسان موضعا يحتفران
فيه جحرا فانتهيا الى ربوة عالية في وسط ذلك الوادي
قد انجاب عنها مسيل الماء فيه يمينا وشمالا فاحتفرا في
اصل تلك الربوة جحرا رضياه واوطناه وانهما علوا
يوما من الايام تلك الربوة فرايا في اعلاها يربوعا قد
غلا سنه على باب جحر له فرحب بهما وحادثهما وسالهما
عن امرهما فاخبراه الى ان ذكرا له انهما اوطنا جحرا في
اصل تلك الرابية فقال لهما اليربوع لولا ان النصح
كثيرا ما يدعو الى التهمة لنصحت لكما فقالا له ما احوجنا
الى نصحك فقال لهما انه كان يقال اربع لا تقدم عليها
حتى تسال عنها الخبير بها السوق لا تقدم عليها حتى تسال
عن النافق والكاسد فيها والمراة لا تقدم على خطبتها حتى
تسال عن منصبها وخلقها والطريق لا تسلكها حتى تسال
عن امنها وخوفها والبلدة لا توطنها حتى تسال عن مرافقها
وسيرة سلطانها واخلاق اهلها وقوة من يكيد اهلها ويعاديهم
وكان يقال انظر الى المتنصح فان اتاك بما يضر غيرك ولا ينفعك
فاعلم انه شرير وان اتاك بما ينفعك ويضر غيرك فاعلم انه
طامع وان اتاك بما ينفعك ولا يضر غيرك فاصغ اليه وعول
عليه وكان يقال ان لم تعن ناصحك على نفسك كان ناصحك
كمن يروم تقويم ظل عود قد نصب معوجا قبل ان يقيم العود
في منصبه وكان يقال اذا اردت ان تعلم ما يغلب على الانسان
من قوى الخير والشر فاستشره يدلك رايه عليه اصح
دلالة وكان يقال شرما في عالم الاخلاق التعاطي لان
التعاطي يزيد المتعلق به شرا ويعرضه في مواسم الخزي وهذا

كالضعيف يتعاطى القوة وكالجاهل يتعاطى العلم وكالفقير
يتعاطى الغنى وكان يقال اذا احتجت الى المشاورة في امر
ما فشاور ذوى الحنكة والتجربة من طبقتك وذوي
صناعتك ولا تعدل عنهم الى غيرهم ممن ليس من طبقتك فتخرج
عن حدك لكونه خارجا عن عالم خصائصك واعلم انه قد
جمعتني واياكما مناسبة صناعية وهي حفر الجحر الا انى
في علمها ارسخ منكما فانتقلا من جحركما فانه بئس الجحر ومن
شر الاوطان وانا ابن نجدة هذه الارض والخبير بها وقد
قيل قتل ارضا خابرها فتحولا عن ذلك الجحر واطلبا مأوى
سواه فخرجا من عند اليربوع يهزآن به ويسخران منه وينسبانه
الى الهرم والخرف ورجعا الى جحرهما فلبثا به مدة طويلة وولدا
فيه اولادا ثم ان الجرذ خرج يوما من الايام فاوغل في تلك
الارض لبعض شانه ثم عاد قاصدا الى الربوة فاذا السيل
قد جرى في ذلك الوادي فاحدق بالربوة وارتفع حتى
صارت الربوة مثل البحر العجاج فوقف على صفة الوادي
ينظر متحسرا لفساد وطنه وهلاك الفه وولده وذهاب
ما اعد من طعمته فرأى اليربوع قائما على الربوة آمنا فناداه
اليربوع ايها الجرذ كيف وجدت ثمرة اضاعة الحزم ومعصية
الخبير النصيح فقال الجرذ وجدتها مرة فقال اليربوع للجرذ
هون عليك واخفض من حسرتك فان النعمة في بقاء نفسك
تربي على المصيبة باهلك وولدك فأنس النعمة بالشكر
تألفك فتستمتع بها وانه كان يقال اظهر البشر لثلاثة الصديق
والغريم والنعمة وكان يقال الحر لا يذهله اساءة من
كان احسن اليه عن شكر احسانه السالف عنده وكان
يقال اذا احسن اليك محسن ثم تنكر لك واصابك بمساءة فلا

تنقبض عنه ودم على شكرك له وبرك به فان ذلك اوجه
شفيع لك عنده فقال الجرذ لليربوع ما كان اشقانى ايها الحكيم
بمعصيتك والبعد عنك وبحق قيل ينبغى للعاقل ان يصحب
العلماء المشهورين بالحكمة والاداب ولوكنت ذا بصيرة
لعلمت ايها الحكيم انك لم تكلف نفسك صعود هذه الربوة
الكؤد وهبوطها على ضعف بدنك وكبر سنك الا لامر
اقتضته الحكمة واوجبه الرأى المصيب ثم ان الجرذ امهل
حتى ذهب السيل فصعد الى الربوة واتخذ جحرا الى جانب
جحر اليربوع فأوطنه آمنا قرير العين فهذا ما اخبرنى به
مؤدبى فقال الملك صدقت ايها الوزير الصالح قائلا
وسددت ناصحا واصبت مشيرا وتلطفت مبلغا ودعوت
سميعا فالتمس لنا ربوة نرضاها لاستقرارنا تلزم انفسنا
الصبر على صعودها ونقصر ما فيها على غير ما الوف ملاذها
وانبساطها فى هذا العالم الخبيث فعلنا ان نجتنى السلامة
التى اجتناها اليربوع من سيل هذه الفتن فقال الوزير
ايها الملك السعيد المفدى بالنفوس الزكية عشت ما بدا
لك ان تعيش ونلت ما املت فما اعجب قبولك ما نهديه
اليك من نعمك ونجلوه عليك من حكمك وانى لا اعرف فى
ناحية من ممالكك معقلا تطل فيه على اهل الارض اطلال
زحل على الكواكب تقاتل دونك الابصار اللامحة والافكار
الطامحة وهو مع ذلك ذو هواء عليل وماء سلسبيل
وحدائق باسقه ومرافق متناسقه وقد كان بعض
سلف الملك السعيد عنى به بعض العناية فقطع عليه
امله الدثور الحتم القاطع عقد الحياة فلما سمع الملك ما دله
عليه وزيره ملئ سرورا وركب من فوره فى خاصته

وثقاته حتى انتهى الى ذلك المعقل الذى دله عليه وزيره
فوجده فى رأى عينه افضل مما صوره الوزير فى
نفسه ووجد به رسوما وثيقة وآثارا اثرها من تقدم
من ابائه فحشد اليه المهندسين والبنايين والعمار
وامرهم بالجد فى اكماله وبادر من فوره فنقل اليه خاص
بيوت امواله وخزائن سلاحه ونفائس ذخائره وحشد
رعيته بحمل الارز اليه فاودعوه من الارز المقشور
وغير المقشور ما ظن ان فيه كفاية وذلك ان الارز الذى
لم يقشر طويل البقاء واعد لنزوله عدته وهو مع ذلك
يسد الثغور ويجند الاجناد ويشيد الحصون فلما مضت
له ثلاث اشهر من يوم كتب اليه جواسيسه بحركة المرزبان
وحشده اقتحم المرزبان ثغوره فى الجيوش المتوافرة والعدة
الكاملة وظهر دعاة كسرى بتلك الناحية فيمن استفسدوه
من الرعية فغلبوا على ما يليهم من البلاد واستعمل المرزبان
عليها عمالا من ثقاة اصحابه ورتب فيها حماة من جنده ومن
اهلها ثم دنا يطوى الارض فوافته جنود الاركن فدافعته
بعض الدفاع ثم انهزم من كان فى نفسه دغل فانهزم الناصحون
بانهزامهم واستولى المرزبان على عسكرهم واستبقى النفوس
واخذ الاموال ثم تجاوزهم يطوى المملكة طيا وكان
الاركن عندما اقتحم المرزبان ثغوره قد بعث باهله وحشمه
الى ذلك المعقل وجمع وجوه خاصة حضرته فوعظهم
وذكرهم ما سلف من احسانه اليهم وذكر ما بلغه عنهم
من فساد الطاعة وما كرهه من امتحانهم ومعاقبة المسيئين
منهم فتنصلوا مما قذفوا به عنده وحلفوا له على استقامة
طاعتهم وصدق مناصحتهم فقال لهم الملك انى لم اجمعكم

لهذا ولست بناكل عن عدوى ولا بمستبعد الظفر به والنصر
عليه ولا بمعين تهمة احد منكم غير انه اخبرني بعض وزرائي
عن ملك من سلفي انه شرع في بناء معقل وعني به بعض
العناية فحال بينه وبين ما اراد من ذلك الاجل المحتوم
على عالم التركيب فحملني على تكملة ما شرع فيه جدي قول
للحكيم ان ابر الملوك من تم به سعي سلفه واعقهم من انقطع
سعيه عنده ثم اني احببت ان اجعل ذلك الحصن من عددي
وذخائري لقول الحكماء ان احزم الرعاة من اعد لجميع قضايا
العقل احكاما وقولهم يجب على الملك ان لا يخلو من خمسة معاقل
يتحصن بها احدها وزير صالح يتحصن برأيه والثاني سيف
قاطع يتحصن بحده اذا غشي والثالث فرس سابق يتحصن
بظهره اذا لم يمكنه الثبات والرابع امراة حسنة يتحصن
بها فرجه وبصره والخامس قلعة منيعة يتحصن بجلولها
اذا احيط به فاتخذت هذا المعقل لتكمل به حصوني
ونقلت اليه ذخائري ومن يكرم علي فمن اراد منكم ان يقتدي
بي في فعلي آخذا بالحزم فليفعل ولما فرغ من مخاطبتهم اذن لهم
فخرجوا من عنده فاقتدى به منهم من كان على رأيه وذا
عقل وخبرة فجهزوا الى ذلك المعقل اهليهم واموالهم
واقواتهم واما المرزبان فانه سار في تلك المملكة يطوي
طي السجل لا يقاومه جيش الا هزمه حتى اشرف على حصن
الاركن فنزل على فرسخ منها وتهيب الاقدام عليها وقد كانت
الاركن امر الناس بالخروج اليه فخرجت امة عظيمة وخرج
الاركن في اربعة الاف مقاتل من عبيده وخاصته وثقاة
اصحابه فقام بهم في معزل عن جيوشه ورعيته بظاهر
المدينة وعبا فيوله ورتب صفوفه وكان في المدينة داعيان

من دعاة كسرى فاغتنما الفرصة واهتبلاها عند خروج
الملك من المدينة فظهروا واتبعهما من كان على رايهما
واطاعهما فوثبوا بخليفة الملك على المدينة فقتلوه واستولوا
على المدينة وضبطوها وبينما الملك قائما في جنوده بظاهر
المدينة اتاه رئيس الزمازمة حافيا حاسرا يلطم وجهه
وينتف شعره فامر الملك بحمله معه على فيله واستخبره فاخبره
بذهاب دار ملكه وخيانة رعيته فانحاز الملك بخاصته ومن كان
على بصيرة في طاعته وتوجهوا حاميه نحو الحصن وانتهى خبره
الى المرزبان فجرد خيلا لاتباعه فادركوه فوقف بازائهم
من كفى امرهم وسار حتى دخل حصنه واما المرزبان فانه
قصد المدينة فدخلها وضبطها واحكم امرها ثم سار في
جيوشه الى ذلك الحصن فراى منظرا عجيبا رائعا ومعقلا
ممنوعا مانعا ولم يمكنه النزول بالقرب منه فنكص الى حيث
امن ونزل في جيوشه محتفظا وكتب الى الملك الهندي
كتابا يخاطبه فيه بالتعظيم والاجلال ويعرض عليه خصالا ٥٧ ب
منها ان يرده الى مملكته مكرما موقرا على ان يدين بطاعة
كسرى فلما انتهى وزير المرزبان الى الملك الهندي حجبه ولم
ياخذ كتابه وامره بالعود الى مرسله فيئس المرزبان منه
وكان يقال صرفك البصر الى عدوك اضاعه واصغاؤك
السمع الى حديثه طاعه وكان يقال اذا امكنت عدوك
من اذنك فقد تعرضت للغرق في بحره والحصول في وهن
سحره وكان يقال عجبا لمن يصغي الى عدوه سمعا وهو
لا يرجو عنده نفعا وكان يقال اذا عجزت عن التحصن
من كلام عدوك فانت في التحصن من كيده اعجز ثم ان المرزبان
عاد الى المدينة وكتب الى كسرى بالفتح وبما تهيا له وعليه

من الامور

من الامور فكتب اليه كسرى يأمره بان يقيم بتلك المملكة
ويترك التعرض لذلك الاركن في حصنه الى ان يبدو منه
فساد وان يذكى العيون عليه ويقيم المسايح من جهات
حصنه ففعل المرزبان ما امره به كسرى ولبث بذلك
مدة وجعل اغتنام الفرس يعيثون في تلك المملكة ويعاملون
اهلها بالفظاظة والقسوة التى طبع الهند على ضدها فدبت
الشحنا في النفوس ودخلت اهل تلك المملكة النفرة لما رأوا
ان خراج ارضهم يحمل الى غيرها وينفق في غير اهلها وعرفوا
فضل ملكهم وما كانوا فيه ومشقة ما صاروا اليه فبسطوا
السنتهم وخاف المرزبان ان يردعهم على القول فيستوحشوا
منه فكف عنهم فكان ذلك داعية الى زيادتهم في بسط
الالسنة وقد قالت الحكماء ايدى الرعية تبع لالسنتها
فاذا قدرت على ان تقول قدرت على ان تفعل وتصول
وكان يقال ترك تكبير الصغائر مدعاة الى الكبائر واول
نشوز المرأة كلمة سومحت بها واول حرن الدابة حيدة
سوعدت عليها قيل واما الاركن الهندى فانه لما استقر في
حصنه شاور وزراءه فاشاروا عليه بالصبر وكف
الاذى وبسط العدل والاحسان وتأمين السبل واجارة
المستجير وتألف المستوحش والاخذ بالافضل وبالعفو
فاتخذ هذه الخلال شرعا يدين به فازدادت سمعته حسنا
والقلوب اليه ميلا والالسنة اليه شكرا واتفق ان عاملا
من عمال المرزبان على ثغر من تلك الثغور اساء السيرة فقام
اليه رجل كان افضل اهل عمله فوعظه ونصح له فكره
العامل ذلك وكتب الى المرزبان بذلك يزعم ان رجلا من
اهل عمله يعارض امره ويؤلب العامة عليه فكتب اليه المرزبان

يأمره بحمله اليه مقيدا فأخذ العامل ذلك الرجل فقيده وبعث
به الى المرزبان مع رجال من الجند فتبعهم احداث من فتيان
ذلك الثغر وفتاكهم فقتلوا اولئك الموكلين بذلك الرجل
واطلقوه فأتى الرجل الى العامل فأخبره بما صنع اولئك
الاحداث وانه عجز عن دفعهم فأمر به العامل فضرب عنقه
وكان ذا منزلة عند اهل بلده فوثبوا على العامل فقتلوه
وقتلوا اكثر رجاله وضبطوا ثغرهم وانضم اليهم من كان على
مثل رأيهم ومن كان في عز حصن وكاتبوا الى من يليهم فاجابوا
الى مثل ما صنعوا وطردوا عمالهم فانتقضت الطاعة
لكسرى في مواضع كثيرة من تلك المملكة في اسرع مدة
ولما انتهى ذلك الى المرزبان جمع جنده وضبط حصنه
وحصر به على حال اهبة وتوقي شديد وكتب الى كسرى
يستمده وكان اهل حضرته عند ما خرج عنهم رئيس الرمازنة
مع ملكهم الى المعقل علموا ان لا غنى لهم عمن يستشيرون رأيه
في مهماتهم فقدموا مكانه خليفة وكان مرضيا عندهم
فلما رأى ما فيه المرزبان من الذعر والتوقي وقصده من
خالفه بالمحنة والعقوبة دخل على المرزبان فقال له اني
اريد ان اسألك عن امر ظننت ان علمه عندك فقال المرزبان
قل فقال بلغني ان مما اوصى به اردشير بن بابك ملك بابل
في وصيته قال قد تخرج الرعية بعنف السياسة الى ما تريد
من المعصية وانه قال في وصية ينبغي لمن تغلب على ملك
وغصبه ربه ان يحفظ الصورة والشريطة التي تسلم
عليها تلك المملكة فانها محفوظة عليه وثابتة من عقد تسلم
الملك تلك المملكة منه وانها ستخرج عنه من يديه بمثل
ما صارت اليه وقيل ان هذه الوصية كانت مكتوبة في

مجلسه بازاء سريره وموضع قضبانه ففهم المرزبان
ما اراده الا انه اراد الوقوف على حقيقة الامر وآخر ما
عنده فقال له الامر على ما بلغك ايها الشيخ فقال رئيس
الزمازمة اذا كان الامر على ما بلغنى فما لك لم تستعمل الحكمة
التى علمت وعنفت فى سياستك عنفا اخرجها او لعله
يخرجها ولم تحذر خروج المملكة من يديك بمثل ما صارت
اليك فلما سمع المرزبان مقالة رئيس الزمازمة انتهره
وتهدده وكان شيخا ضعيف البدن كبير السن فسقط
الى الارض مغشيا عليه فحمل الى منزله فمات بعد ايام وعظمت
المصيبة بعد موته وساءت المقالة وشحنت الانفس
من الشقاق بما كانت منقبضة عنه وفشا ذلك فى الرعية
فشواتاما فاستحضر المرزبان وجوه من بحضرته فوعظهم
وحذرهم بطش كسرى ورغبهم فى العاقبة فارضوه
بالسنتهم وتسللوا عنه وغلظ امر اهل الاطراف المتنقضة
وشغل عنهم المرزبان بتحصين البيضة فبعثوا رسلا
الى الاركن الذى كان ملكهم يسألونه الصفح عنهم وان
يبعث اليهم رجلا ينحازون اليه فاعطاهم امانا عاما
واستعمل عليهم عاملا فالقوا اليه المقاليد واستنصروا
فى طاعته ونصحوا فى الذب عنه واضطر المرزبان الى
ان يبعث اليه جيشا فبعث فعاد جيشه منهزما مغلولا
ولم يجد بدا من الخروج اليه بنفسه فحصن دار ملكه
واستخلف عليها من ظن انه يضبطها وخرج متوجها الى
عدوه ولما فصل عن المدينة وثب اهلها باصحابه واستوعبوهم
قتلا وتشريدا عن مدينتهم واحرزوا مدينتهم وبلغ ذلك
المرزبان فاستمر لوجهه خارجا عن تلك المملكة حتى قدم

على كسرى طريداً مغلولا وعاد الاركن الى دار ملكه فجرى
على سنن العدل والاخذ بالحزم وقمع شهواته واستعمل الحكم
التى افاده التجارب اياها

روضة رائقه ورياضة فائقه

قال المؤلف عفى الله عنه بلغنى ان امير المؤمنين عثمان رضى
الله عنه قال لرجاله وهو محصور فى الفتنة وددت
لوان رجلا صدوقا اخبرنى عن نفسى وعن هؤلاء يعنى الذين
حاصروه فقام اليه شاب من الانصار فقال انا اخبرك
يا امير المؤمنين انك تطاطات لهم فركبوك وتخادعت لهم
فسلبوك وماجراهم على ظلمك الا افراط حلمك قال صدقت
اجلس ثم قال هل لك علم بما يثير الفتن قال نعم يا امير المؤمنين
سالت عن هذا شيخا من تنوخ كان باقعة قد نقب فى البلاد
وعلم علما جما فقال لى ان الفتنة يثيرها امران احدهما اثرة
تضغن الخاصه والثانى حلم يجرئ العامه فقال عثمان رضى
الله عنه فهل سالته عما يخمدها قال نعم قال لى ان الذى
يخمد الفتن فى ابتدائها استقالة العثرة وتعميم الخاصة
بالاثره فاذا استحكمت الفتنة فليس لها الا الازم يعنى
الصبر فقال عثمان رضى الله عنه فهو ذاك حتى يحكم الله
وهو خير الحاكمين تفسير الفاظ اشتمل عليها هذا الخبر قوله
باقعة اى ذهنه مجرب ويقال فلان باقعة اذا طاف
بقاع الارض واستفاد التجارب وقوله اثرة يعنى
اختصاص بعض المستحقين للشئ به دون بعض وقوله
تضغن اى تحقد والضغن الحقد نفسه وقوله الخاصة
يعنى الخاصة وقوله الازم يعنى الصبر والحبس وحقيقته
الامساك للشئ بالاسنان قال المؤلف عفى الله عنه هذا الحد

ينحو الى ما ذكره الفرس من ان يزدجرد بن بهرام سأل حكيما
من الفلاسفة ما صلاح الملك فقال الرفق بالرعية واخذ
الحق منها من غير عنف والتودد اليها باقامة العدل فيها وامن
السبل وانصاف المظلوم قال فما صلاح الملك قال وزراؤه
اذا اصلحوا اصلح فقال يزدجرد ايها الفيلسوف ان الناس
قد اكثروا في الفتن فصف لنا ما يثيرها وما يخمدها اذا
ثارت فقال يظهرها جراءة العامة ويولدها استخفاف
الخاصة ويؤكدها انبساط الالسن بما في ضمائر القلوب
واشفاق موسر وامن معسر وغلظة ملول متكبر ويقظة
محروم فقال يزدجرد وما الذى يسكنها ايها الفاضل اذا
ثارت قال يسكنها ايها الملك اخذ العدة لما يخاف وايثار الجد
حين يلتذ الهزل والعمل بالحزم والادراع بالصبر والرضى
عن القضاء فقال الملك صدقت ايها الحكيم

السلوانة الرابعة في الرضى

قال الله سبحانه تقدس اسمه وتبارك وتعالى ذكره عائبا
من سخط حكمته وتدبيره وسخط قسمته وتقديره فان اعطوا
منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ثم نبههم على
ما حرموه من فضيلة الرضى بقوله ولو انهم رضوا ما آتاهم
الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله
ورسوله انا الى الله راغبون ووصف صفوته من خلقه
بالرضى فقال تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه ومما يفهمك
معنى قوله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه ما روى
ان موسى عليه السلام قال الهى دلني على عمل اذا عملته رضيت
به عنى فاوحى الله عز وجل اليه انك لا تطيق ذلك فخر موسى
ساجدا متضرعا الى الله تعالى فاوحى الله تعالى اليه يا ابن

عمران ان رضاءى فى رضاك بقضاءى خبر نبوى فى الرضى
مما رويناه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اللهم انى
اسالك الرضى بعد القضاء قيل انما قال عليه السلام بعد
القضاء لان الرضى بعد القضاء انما هو عبارة عن العزم
وتوطين النفس على الرضى بالقضاء اذا نزل وانما يتحقق
الرضى بالقضاء بعد حصول القضاء ومثله ما روينا ان
النبى صلى الله عليه وسلم اتى رجلا من اصحابه قد اجهده
المرض والحاجة فانكره النبى صلى الله عليه وسلم وقال
له ما الذى بلغ بك ما ارى قال المرض والحاجة يا رسول
الله قال افلا اعلمك كلمات اذا انت قلتهن اذهب الله عنك
ما تجده قال والذى بعثك بالحق نبيا ما يسرنى بحظى منها
انى شهدت معك بدرا والحديبية فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهل لاهل بدر والحديبية ما للقانع والراضى
منثور ومنظوم من الحكم فى الرضى روى ان عمر بن
الخطاب رضى الله عنه كتب الى ابى موسى الاشعرى اما بعد
فان الخير كله فى الرضى فان استطعت ان ترضى والا فاصبر
اعلم رحمك الله واياى ان الرضى هو اطراح الاقتراح على
العالم بالصلاح اذ كان القدر حقا كان سخطه حمقا من
رضى حظى ومن ترك الاقتراح افلح واستراح كن بالرضى
عالما عاملا قبل ان تكون له معمولا وسر اليه عادلا والا صرت
نحوه معدولا قيل للحسن البصرى من اين اتى الخلق فقال
من قلة الرضى عن الله فقيل له ومن اين قل رضاهم عن الله
قال من قلة المعرفة بالله ومما قلته فى الرضى

يا مفزعى فيما يجى ... وراحمى فيما مضى
عندى لما تقضيه ما ... ترضاه من حسن الرضى

ومن

ومن القطيعة استعيذ مصرحا ومعرضا

ومن ذلك

كن من مدبرك الكريم علا وجل على وجل
وارض القضاء فانه حتم اجل وله اجل

ومنه ايضا

* يا من يرى حالي وان ليس لي في عزم ما يقضيه اوطار *
* وليس لي من ملجأ دونه * ولا عليه لي انصار *
* حاشا لذاك الفضل والعزان يهلك من انت له جار *
* فان تشا هلكي فيا مرحبا * بكل ما تقضي وتختار *
كل عذاب منك مستعذب مالم يكن فقدك والنار

ومنه ايضا

اذا انالم ادفع قضاء كرهته بشئ سوى سخطي له وتبرمي
فصبري له من حسن معرفتي به كما ان رضوانى به من تكرمي

روضة رائقة ورياضة فائقه

قيل ان يزدجرد الاثيم ابن سابور ذي الاكتاف لما ولد له ابنه بهرام جور اخبره منجموه بقوة مولده وسعادة جده ووصول الملك اليه بعد شدة ومحنة وطول اغتراب وانه ينشأ بين امة نلسية ذات همم عليه وخلوم زكية ونفوس ابية وبهم يصير الملك اليه فاجال يزدجرد فكره في خصائص الامم ومزاياها فرأى ان العرب اولى الامم بتلك الاخلاق التي وصف له المنجمون ووقع اختياره عليهم فكتب الى النعمان الاكبر ابن امرئ القيس بن عدي بن نصر اللخمي فاستحضره واشخص اليه جماعة وافرة من رؤساء العرب وساداتها فوصلهم وبرهم واخبرهم بما يريد من تمليك النعمان عليهم فانعموا عليه بذلك فشرف النعمان وتوجه وملكه

عليهم وعلى العرب وسلم اليه ابنه بهرام وامره بكفالته
فأخذه النعمان واسترضع له اربع نسوة صحيحات الاجسام
زكيات الفهوم سنيات الاعراق سريات الاخلاق امرأتين
من العرب وامرأتين من الفرس واجرى عليهن ما يصلحهن
وانكفأ بهرام الى بلاده فبنى له الخورنق لما اتفق عليه من
طيب الهواء وفضيلة الماء فارضع المرضعات بهرام اربعة
اعوام ثم فصلته وقد صار غلاما جفر السرعة نشأته
وشبابه ولما استكمل بهرام خمسة اعوام قال النعمان انظر
في تعليمي ما يحتاج الملوك اليه فحدث بينهما محاورة ليس هذا
موضع ذكرها اودعناها كتابنا المسمى درر الغرر المتضمن
ابناء نجباء الابناء فكتب النعمان الى يزدجرد يسأله ان
ينفذ الى ابنه رجالا من حكماء الفرس وفقهائهم ومعلمي
كتابهم فارسل اليه يزدجرد بجماعة منهم ثم ان النعمان ضم
الى ابنه بهرام رجلا من علماء العرب وحكمائها ودهاتها وكان
ذا بصيرة بالسياسة وخبرة بكثير من اللغات وحفظ
لاخبار الملوك وسيرها ومعرفة بايام العرب وغيرها وكان
اسمه جلسا فأفاد بهرام كل واحد من معلميه ما عنده من
العلم فلما استكمل من السنين اثني عشر سنة فاق معلميه كلهم
واعترفوا بفضيلته عليهم واستغنائه عنهم فصرفهم النعمان
وكره بهرام مفارقة جلس لكونه يجد عنده من المحاسن
والآداب والسياسة والاخبار والدهاء ما لم يجده
عند غيره واستدعى النعمان يزدجرد من يعلم ولده الرماية
والفروسية وما يحتاج اليه المحارب فبعث اليه يزدجرد
من اراد منهم لحاجته من ذلك فمكثوا عند النعمان ثلاث
سنين واستفاد بهرام جميع ما عندهم من ذلك ثم صرفهم

النعمان مكرمين وامسك جلساً عنده لشغفه به ولما استوى
بهرام من العمر خمسة عشر سنة استأذن النعمان الملك
يزدجرد في القدوم بولده فأذن له في ذلك فوفد
النعمان على يزدجرد بابنه بهرام واوفد رؤساء العرب
وزعماها فأحسن يزدجرد وفادتهم واكرم نزلهم واجزل
صلة النعمان وضاعف تشريفه وسرحه وامسك ابنه
بهرام عنده واحتبس بهرام جليساً لعاوق نفسه به وكان
يزدجرد فظاً غليظ القلب عسوفاً شديد الكبر غليظ
الحجاب محتوياً على سفك الدماء واغتصاب الاموال ولذلك
سمي الأثيم فعامل ابنه بهرام بالقسوة التي طبع عليها واتعبه
وكده واستعمله على شرابه فتبرم بهرام مما ناله من ابيه
وعيل صبره وضاق ذرعه فشكى ذلك الى جليس فرق
جليس لشكواه ثم اقبل عليه وقال له ما معناه جلا الله
كربك واعلا كعبك واطاب ذكرك في قلوب الامم وافواهها
وكتب لهرك ملوك العرب والعجم بجباهها ان اولى الناس
بامحاض النصيحة من كان معروفاً بها ومندوباً لها ومعولاً
اليها ومحضوضاً عليها وانه كان يقال النصائح بشعة المبادي
حلوة العواقب فهي كالادوية بسوء استعمالها ويسر
مآلها ويذم عيبها ويمدح غيبها وكان يقال الامين يصحب
الملوك بالزوم على الخدمة والمبالغة في النصيحة والخائن
يصحب الملك بحسن المداراة وفرط التذلل وكان يقال
انما يسعد النصحاء بالملك اذا كان مؤيداً بفضيلة العقل
وان لم يكن كذلك شقي به النصحاء وسعد به ذوو
الملق وهذا لان الناصح يشفق على من نصح له من عقله
وبالعقل يدرك العقل وكان يقال اشد اللوم ان تضن

بالنصح لمن سمح لك بالثقة وان تستر الصواب عمن هتك
لك بحجاب سره وكان يقال اولى العقلاء النصحاء بقبولك
منه واقبالك عليه من كانت سعادتك شرطا في سعادته
وعلة لها ومن كنت منه بهذه المنزلة فسعيه لك سعى
لنفسه وذبه عنك ذبه عنها ثم قال انه قد ساءني تبرم
ابن الملك وضجره لما لقى من خدمته للملك وانا اشير على ابن
الملك باظهار المسرة بما اظهر به التبرم والضجر اذا كان
الملك قد استعمله على عمل لابد للعامل منه اظهار البشر
والطلاقة وكان يقال من صحب الملوك بلا يوافقها تحركت
عليه بالعطب ولا ينبغي مع هذا ان يظهر من ذلك ما يبطن
خلافه فان الرياء ينصهل عن الطبع نصول الخضاب عن الشعر
ولكن ليتامل ابن الملك القصة التي كرهها بعين العدل
يظهر له حسنها وذلك ان الملك استعمله على شرابه الذي
هو جماع لذته وجالب طربه ومسرته وراحة نفسه من
نصب التدبير ومشقته ووكل اليه مع هذا حراسة نفسه
ومهجته ورضيه لها لحفظها في مجلس خلوته ووثق بكفايته
في صون شرابه عن بلية وآفة يقصده بها اعداؤه من
جهة الشراب وخلل يدخله على عقله السكر والاضطراب
وكيف يصلح ان يعدل عن الولد الحبيب النجيب بهذا العمل
العلى قدره العظيم خطره ام كيف تطيب نفس الولد العاقل
ان يرى اباه صار فى هذا العمل الى سواه فليصرف ابن
الملك الفكرة الى ما ذكرته له ليكون ما يظهره من الغبطة
لهذه الحظة راجعا الى عقد يوافقه ومعنى يطابقه ولا
يتخلص من ذلك بما يتمنى رفضه ولا يتبرم منه مما يستحب
نقضه فيتم عليه بما اسره توسم الابصار وتكهن الافكار

فانه كان يقال الرياء شراب يخدع الفطن القاصره ولا يخفى
على البصائر الباصره وكان يقال انما ينبسط سلطان الرياء
على السمع والبصر اللذين يدركان الشهادة دون الغيب
فاما العقل فلا ينبسط سلطان الرياء عليه لان الاول
الاخر قد كاشفه بكثير من الغيب لاختصاصه اياه ثم قال
جلس وقد فطن الدب على بلادته لرياء القرد فقال بهرام
اخبرني عن ذلك فقال جلس ذكروا ان دبا كان يسرح
في غيضة ذات اشجار مثمرة وكان في تلك الغيضة قرود
وكان يرى قوى القرود على رقي الشجر والتطرف لاغصانها
وتمكنها بالاغصان من اجتناء اطايب الثمار فحدث نفسه
ان يصيد له قردا منها فيكلفه ان يجني له الثمر فصعد شجرة
والتي نفسه منها والقرود ينظرون اليه وجعل يتضرر
ويتخبط طويلا ثم تماوت فخفت وفتح فاه واخفى نفسه
واجتمع القردة لرؤيته فقال لها حازم منها انه لا يبعد ان
يكون هذا الدب متصنعا خادعا وان الحزم ان يتجنب
ويحذر منه فان لم يكن بد من الدنو منه فهلم نجمع حطبا
وندوره حوله ونضرم فيه نارا فاذا كان متصنعا افتضح
وان كان ميتا فلا ضرر علينا في احراقه فانه كان يقال
عدوك ضدك وحكم الضدين التناءى والتنافر والتدابر
وكان يقال لا تطأ ارضا وطئها عدوك الا على توثق
واحتراس وتوقي افتراس ولا يغرك خروجه منها وبعده
عنها فربما رتب فيها شباكا ونصب لك بها اشراكا وكان
يقال لا تغشى عدوك الا متسلحا متحرزا متحفظا ولا يغرك
منه استسلامه والقاؤه السلاح فما كل سلاح يدرك
بالبصر وقد غر الراهب اللص بمثل ذلك فتم له عليه ما اراد

فقالت القردة اخبرنا عن ذلك فقال القرد ذكروا ان
راهبا كان فاضلا من الرهبان وكان متبتلا في قلاية
له بظاهر اللاذقية وكان شيخا فانيا قد نهكته العبادة
وكانت النصارى يخصونه بالصدقات فيقبلها ويعطيها
اهل الفاقة لزهده في الدنيا وان لصا من اللصوص
رأى كثرة ما يخص به ذلك الراهب من الصدقات فحدث
نفسه بان يتسور عليه في قلايته فظن انه سيصيب
عنده كنزا فتحيل ليلة من الليالي حتى تسور القلاية وحصل
مع الراهب في حال تعبده فوجده قائما يصلي والسراج
يزهر في البيت فصاح اللص بالراهب استأثر ايها الشيخ
قبل ان اقطع رأسك فالتفت الراهب فرأى اللص
فاذا هو شاب شديد البنية في يده سيف مشهور مصلت
فعلم انه لا قبل له به فقطع صلاته وفر من بين يديه الى
ناحية من البيت في حائطها طاق فادخل الراهب رأسه
في الطاق ومد يده الى خلفه كما يفعل بالمكتوف ولما رأى
اللص ان الراهب قد استسلم وخبا رأسه القى سيفه ووثب
نحو الراهب ليقبض عليه فانخسف به ما تحته وسقط في
دهليز القلاية سقوطا اوهنه فمكث على حالته لا يجد محيصا
عن الموضع الذي حصل فيه حتى اصبح فدل الراهب عليه فأخذ
وصلب وقد كان الراهب قد اتخذ في طريق الطاق نقبا
وجعل عليه طابقا ينقلب بلولب اذا اعتمد عليه الراهب
وغطاه ببعض فرش البيت فلما قصد الى الطريق هاربا
بين يدي اللص خطر من ذلك الموضع وتخطاه لمعرفته
بموضعه فلم يضع رجله على الطريق واللص لم يعرف
ذلك ولا استعمل الحزم بالتحفظ بل عول على ما ظهر له من

استسلم

استسلام الراهب ولم يدر انه قد اعد له سلاحا لا يدركه
البصر فلما سمعت القردة المثل الذى ضرب لها حازمها وقفت
عن الاقدام على الدب وانتشرت تجمع الحطب لاحراقه فأتى
غر من القردة لم يكن حاضرا ذلك ولا سمع بمقالة الحازم
قد نام من الدب واصغى باذنه الى انف الدب يسمع حس نفسه
فقبض عليه واعتمد الى عرق من شجر الخيزران فربط طرفه
فى وسط القرد وكلفه ان يصعد الى الشجر فيجنى له اطايب
الثمر ويلقيه اليه والدب يمسك بالطرف الاخر من الخيزرانة
فلبث القرد بذلك بقية يومه ثم انصرف به الى غار فادخله
فيه وسد بابه عليه بصخرة ولما اصبح غدا على القرد فاخرجه
من الغار فانطلق به الى الغيضة فجنى الثمر له الى عامة نهاره
ثم راح به الى الغار فسجنه فيه فلبث بذلك مدة والدب قد
بلغ مناه والقرد فى اسوء حال واعظم مشقة يظل نهاره فى
خدمة الدب ويبيت ليله فى سجنه وكان يقال شهوة العاقل
من وراء فكرته فاذا انبعثت له شهوة مرت بفكرته فنظر فى
مباديها وعواقبها وتدبر فيها بحكم الرأى وفكرة الاحمق من
وراء شهوته فكلما انبعثت له شهوة مرت نافذة لوجهها لا يصدها
شئ وكان يقال انما صار يسير المؤنة المتحملة للعدو شاقا لان
الارواح تتحمل منها اضعاف ما تتحمل الابدان فيصير الاذى
بها عاما وليس كذلك المؤن المتحملة للحبيب لان الارواح
تتلذذ بها وتستخدم الابدان بها قيل ثم ان القرد تفكر فى حاله
فظهر له ان نصحه فى خدمة الدب يمنعه من الخلاص منه فندم
على نصحه فى خدمته وعلم انه ليس ينجيه منه الا الحيلة فطالت
فكرته فى ذلك الى ان اتجه له وجه الحيلة فيه وكان يقال
اذا كان المملوك ميت الشهوة بليد الفكرة رذل الهمة فهو سلم

لمالكه وان لم يكن بهذه الصفة فان له فيه شريكا هو املك
به من سيده وذلك انه اذا كان متحرك الشهوة كان منقادا
لطاعتها فاذا اصحت فكرته استعملها في طلب الراحة من
النصب والخلاص من الاسر وادامة الحج في الدفع على
نفسه واذا سمت همته اتصف بالغضب والانفة والحقد
وتدبير ما يريد لا ما يريد سيده قيل وكان مما عول عليه القرد
من الخديعة للدب ان تظاهر بضعف البصر فصار يلقي للدب
ما لا خير فيه فزجره الدب عن صنعه فلم ينزجر وضربه فلم
يرتدع فلما طال عصيانه عليه قال انى سئمت من زجرك وضربك
وقد حدثتني نفسي بأكلك لانه لم يبق لى فيك منتفع وكان يقال
اذا لم تجد من الخدم الا من قد ساء ادبه فاخدم نفسك ولا تستخدمه
لانه يحمل على قلبك من المشقة اضعاف ما يحمل عن بدنك فقال له
القرد انى لست على ما تصفني به من سوء الادب فلو قتلتني لندمت
كما ندم الطحان حين قتل حماره فقال له الدب اخبرني عن ذلك
فقال القرد حكي ان طحانا كان له حمار يطحن عليه وكان له زوجة
سوء يحبها وهي تحب جارها وذلك الجار الذى تحبه يبغضها ويمتنع
منها فرأى الطحان في منامه قائلا يقول له احضر في موضع كذا
من مدار الطاحون تجد كنزا فحدث امرأته برؤياه وامرها بكتمانه وكان
يقال من زعم انه يجد راحة في افشاء سره الى غيره فاتهم عقله لان
مشقة الاستبداد بالسر وترك المشاركة فيه اقل من مشقة
الحذر من انتشاره بسبب المشاركة فيه وكان يقال امران يسلبان
للحكمال الحرية وهما قبول البر وافشاء السر وشرح هذا ان من
قبلت بره فقد اوجبت على نفسك الخضوع له ولاحسانه رق
الانسان وكذلك من اطلعته على سرك فان حذرك من افشائه
يلزمك ذل التقية له وكان يقال المرأة مؤهلة لبيت تهمة وطعا

ترعه وولد تربيه ومغزل تديره وشبق تسكنه وتثيره فمن اثيرها
في امره واطلعها على سره فقد التحق بعالمها وليس في قواها الا الحاق
بعالمه قيل ولما السبر الطحان امراته برؤياه اخبرت به جارها الذي
تهواه وتقربت بذلك من قلبه فواعدها ان يطرق الموضع ليلا
ليتعاونا على حفره وفعلا ذلك فوجدا الكنز واستخرجاه فقال
جار المرأة لها كيف نصنع بهذا المال فقالت المرأة نقسمه نصفين
بالسوا فينطلق كل واحد منا بنصفه الى منزله وتفارق انت
زوجتك واحتال انا في فراق زوجي ثم تتزوجني فاذا اجتمعنا
على النكاح جمعنا المال وكان بايدينا فقال لها جارها اني اخاف
ان يطغيك الغنى فتنكحي غيري فانه كان يقال الذهب في المنزل كالشمس
في العالم وكان يقال من بلغ من اليسار ما فوق قدره تنكر لمعارفه
وكان يقال اليسار مفسدة للنساء لغلبة شهواتهن على عقولهن
وكان يقال لا تسمح لولدك ولا لامرأتك ولا لخادمك بما فوق
الكفاية فان طاعتهم لك بقدر حاجتهم اليك ثم قال لها بل الراى
ان يكون جملة المال عندي لتحرصي على التخلص من زوجك واللحاق
بي فقالت المرأة اني اخاف منك الذي خفت مني ولست بمسلمة
لك حظي من المال فلا تحسدني على حظي وقد آثرتك بالدلالة عليه
فانه كان يقال انما صار العدل والانصاف مشكورا عليهما لفساد
الزمان لان الشكر انما يجب لمن يتفضل بحق هو له فاما من اعطى
الحق اهله فهو محمود لا مشكور فلما سمع مقالتها دعاه البغي والشره
والحسد والحذر من نميمتها عليه الى قتلها فقتلها والقاها في موضع
الكنز وبغته الصبح فاعجله عن مواراتها فاحتمل المال وخرج ودخل
الطحان على اثره فربط حماره في المدار وصاح به فمشى خطوة ثم اعترض
الحفير والقتيل بين يديه في المدار فوقف فضربه الطحان وهو لا يدري
ما بين يديه ضربا شديدا والحمار يلتوي ولا يمكنه التقدم فاخذ سكينا

ونخسه نخسات كثيرة ثم استشاط غضبه فطعنه بها على خاصرته فمرت
فيه السكين وسقط ميتا ولما انتشر الضوء رأى الطحان الحفير ووجد
امرأته فيه قتيلة فاستخرجها فرأى آثار الكنز فاشتد اسفه على ذهاب
الكنز وهلاك امرأته وموت الحمار فقتل نفسه قيل فلما سمع الذئب مقالة
القرد قال له قد ظهر لي فيما ضربته لي عذر الحمار فما عذرك انت فقال
له القرد اما عذري فلا يكاد يخفى على ذى لب فطن اما ترى ان بصري قد
ضعف واخا في عليه ان يذهب بالجملة فان رأيت ان تنظر في صلاحه
فذلك بيدك فقال له الذئب ومن لي بصلاح بصرك فان فيه صلاحي
فقال له القرد ان الاطباء الكثير ولكن العاقل لا يستطب لنفسه
ولا لاهله الا من يكن من عالمه وان لهذه القردة طبيبا بهذه الارض
نصفه باجادة الطب والزهد فى متاع الحياة الدنيا وحطامها
وانى لاستروح العافية من تلقائه واستلوح الفرج فى لقائه فأجابه
الذئب الى ما اراد فقصد به القرد قردا كان موصوفا بالخبث والدهاء
والذكاء فلما بلغا اليه فر القرد للاختباء من القرد وصعد شجرة وجلس
فى اعلاها وقام الذئب تحتها وقال لهما ما شأنكما فقص عليه الذئب
قصة غلامه ورغب اليه فى مداواته فقال له القرد للخبيث دعه
يطلع الى حتى انظر الى عينيه فأرخى له فى المخيزرانة فجعل يتأمل
عينيه ويسأله عن خبره فقص عليه خبره مع الذئب وسأله ان يفتح
له باب المكيدة فى الخلاص من يديه فقال له القرد الخبيث انى
ساحمله على السهر فاحتمل لنفسك بانتهاز الفرصة اذا نام وكن على
حذر من ان يتناوم ليختبرك ثم امره بالنزول فنزل واقبل القرد
الخبيث على الذئب وقال له ينبغى ان اعرفك داء عينى عبدك هذا
قبل ان ادلك على دوائه اذ يستحيل العلم بالدواء من الجاهل بالداء
اعلم ان القردة انما صحت جسومها وقلت لحومها وتوقدت فطنها
وفهومها لانها وفرت على السهر دواعيها وجعلت لليلها حظا من

مساعيها

مساعيها وقد كان يقال كثرة النوم تجلب الدما وتسلب الاعما وكان يقال
من لزم الرقاد حرم المراد وكان يقال لا يصح ان يقال في حد الجود انه سماحة
النفس بالنفس ولو صح هذا لكان اجود الاجواد من كثر نومه لانه سمح
بحياته التي لا يجد لها كفاء ولا يصيب عنها عوضا ثم قال القرد الخبيث للدب
انك لما اخرجت عبدك هذا عما اعتاده ادخلت عليه الفساد كما صنع
بالطائر الذي صيد لابنة الملك فقال له الدب اخبرني عن ذلك وما جرى
للطائر فقال له القرد الخبيث ذكروا ان ملكا من ملوك اليونان كانت له
ابنة تكرم عليه جدا فهاجت بها المرة السوداء فادخلت عليها انواعا من
الامراض وبلغ بها الامر الى الامتناع من الغذاء والدواء فاشار طبيب ان
تنقل الى ارتفاع من الارض تشرف فيه على بستان مونق وماء جار ففعل
ذلك بها فرأت في اليوم الذي نقلت فيه الى العلو طائرا فيه من كل لون
وقد نزل على دالية فاكل من عنبها ثم غرد تغريدا عجيبا اتى فيه بانواع
من الانغام المطربة فارتاحت الجارية بما رأت وسمعت من الطائر واستدعت
الغذاء وقد كان يقال افضل الانغام المطربة ما سمع من الصور الحسنة لانه
يحرك الشهوة والطرب جميعا فتتظافر القوتان ويفعلان فعل الادوية
المركبة فانها انجح من الادوية المفردة بل هي انفع واشد فعلا قيل ثم ان ذلك
الطائر اسرع الذهاب ولم يعد يومه ذلك فظهر على ابنة الملك القلق
لغيبته ولما كان الغد عاد الطائر الى موضع من الدالية في مثل وقته
بالامس فاستبشرت ابنة الملك بعوده وارتاحت واكلت وشربت وانصرف
الطائر في يومه كانصرافه بالامس فعاودها القلق لغيبته وبلغ الملك
خبرها بذلك فامر باصطياد ذلك الطائر فاصطيد وجعل في
قفص واتحف ابنته به فاشتد سرورها به واغتذت وتداوت ورأى
الطبيب انتعاشها وحركة قواها فعالجها وطمع في سلامتها ولم يعلم
بامرها مع الطائر وان ذلك الطائر لبث عندها اياما مسجونا في القفص
لا ينطق ولا يصوت ولا يطعم شيئا واخذ في التغير والسقم وعادت الجارية

الى سوء حال لما تضررت من الاهتمام بالطائر فجعلت تذوب لما نالها من
الاهتمام بالطائر وزادت مرضها الى مرضها وعلم بذلك ابوها فندم
على اصطياد الطائر وقد كان يقال لا تكن تلميذا لمن يبادر بالاجوبة
عن المسائل قبل ان يتدبرها ويتفكر فيما يتفرع منها ويعتد لدفع ما
يمكن ان يعترض عليه في جوابها او يلزمه خصمه من المناقضة لا و سوانه
كما انك لا ينبغي لك ان تستشير الغر الذى لا يتجاوز مبادئ الامور
والآراء الى عواقبها ولكن تتلمذ لمن يتفكر في الاوائل والاواخر قبل ان يجيب عن
كما تشاور المحنك المتدبر لبواطن الامور وظواهرها المتطلع على
مباديها وعواقبها قيل فلما علم الطبيب ما انتقلت حال الجارية اليه من
الفساد بعد الصلاح علم ان ذلك لعارض طرأ عليها فبحث عنه فاطلع
على قضيتها مع الطائر فاشار بان تنصب شباك محيطة بالبستان
علوا وسفلا فصنع ذلك على ما اشار فاطلق الطائر في البستان فلما
رجع الطائر الى ما اعتاده وائتلفه راجعه صحته وحسنه ولطف
تغريده فصلحت بذلك تلك الجارية ونقهت من مرضها قيل فلما قضى
القرد الخبيث ما ضربه له من المثل قال له الدب قد سمعت مقالتك
ووعيت حكمتك فمرني بما فيه مصلحتي بعد هذا اطع امرك فقال له القرد
انى آمرك ان تتأخر في مسرحك جزءا من الليل فان ذلك زيادة في عمرك
وطعمتك ونعمتك ومهيج لنشاطك وانبساطك ومضاعف للذمنات
ومضاعف المصلحة على امك فشكره الدب على نصحه وانطلق بعده الى مسرحه
فاجتنى له في نهاره ذلك اطايب الثمر فلما جاء الليل اظهر القرد نشاطا
ومرحا واجتنى في تلك الليلة اضعاف ما يجتنيه في ثمرات طيبات فلبث بذلك
صدرا من الليل ثم انكفأ به الدب الى الغار فنجته فيه وغدا عليه كعادته
ولبث القرد اياما يتظاهر فيها اذا جن الليل بقوة البصر ويجتني للدب
اطايب الثمر على حال تدريج والدب لم تسكن نفسه الى الثقة بالقرد
بل يتكهن عليه انه مراء متصنع خادع وكلما ازداد القرد في تصنعه زاد الدب

في الريبة به وانه ليلة من الليالي اراد الانصراف الى ماواه فجعل القرد
يماطله ويقول هاهنا ثمرات طيبات فينا اخر الذب لما طبع عليه من الشره
والنهمة وكانت ليلة مقمرة فحدث الذيب نفسه بان يتناوم ليختبر القرد
ويمتحن ظنه به فتناوم وجعل يغط فما كذب ان وثب القرد هاربا
فجذب الذيب بالخنجر انه جذبة شديدة فانقطع ظهره منها ومات وما قيل ولما
بلغ الحكيم جلس الاعرابي الى غاية هذا المثل الذي ضربه لبهرام امسك عن القول
فقال له بهرام ما ابهجني بقربك واقر عيني بما تفيدني من حكمك وتضربه
من امثالك وتجلوه علي من ملحك ولئن بقيت الى ان تدول لي دولة لاجعلنك
اول داخل علي واخر خارج عني واساروض نفسي بارائك مستميا بالله.
الاول الاخر فسجد جلس ودعى له بطول الاجل ونجح الامل ثم ان بهرام جور شهد
والده في ليلة من ليالي سروره وقد نظر التواز بين يديه فكانت مثل الزرابي
المخملة والتيجان المرصعة فذكر بهرام ايامه عند النعمان بالخورنق وانتجاعه
الرياض اللانعة الانيقة وشربه فيها على الازاهر المطلولة التي كان يتنعم
به من مباكرة صيد الوحوش في غابها والتفكه بطرادها واصطيادها فاطرق
واستولت عليه الفكرة فعبس وتنفس الصعداء وابوه يزدجرد يسارقه
النظر ثم انه استفاق فنظر الى ابيه وعلم انه كان بمرآه منه فاسقط ما في يده
واغتم ولم تمض ساعة حتى قبض الملك بشره ونكس راسه فنهض كل
من بحضرته من ندمائه وسماره وكانت تلك عادة ملوك الفرس اذا عبس الملك
او اطرق لم يبق بحضرته احد الا استوقاما على حال الخشية والسكون وكان
ليزدجرد مضحك ظريفا اللسان لطيف اللفظ والفطنة حسن
الانتزاع جيد البديهة حلو النادرة فحضر ذلك المقام وفطن للامر
الذي تفكر له الملك وعلم ان ذلك انما كان من عبوس ولده واطراقه
في مجلس المسرة فحدث ذلك المضحك نفسه بان يحسن الى بهرام
ويصطنع عنده يدا فيحتال له بحيلة يخلصه بها من غيظ الملك
وغضبه عليه فبينما هو يناجي نفسه بالحيلة في ذلك اذ رفع الملك

رأسه فنظر الى المضحك كانه يحركه الى ان يصنع شيئا فيه سلوة
له فسجد المضحك ثم جثى على ركبتيه وقال ان العبد الذليل
يستأذن الملك فى ان يخبره عن نفسه بخبر عجيب فنظر اليه
بهرام كالآذن له فقال المضحك ان العبد الذليل كان فى حداثة
سنه كلف بالنساء مفرط الشبق اليهن الا انه كان ملولا لايثبت
على محبة من احب منهن وكان كلما استحسن امرأة هام بها وتهالك
فى حبها وقد كان يقال من اتبع لحظه هواه ادحضه واهواه
وكان يقال كن من عينك على حذر فرب جنوح حين جناه
جموح عين وكان يقال ما احرى الملول بان يحرم المامون وكان
يقال السآمة من اخلاق العامة لا من اخلاق السامة وكان
يقال التنقل من خله الى خلة كالتنقل من ملة الى ملة ثم قال
المضحك وان العبد دخل بلاد السند فبينما هو يطوف فى بعض
مدنهم اذ رأى امرأة لم ير قبلها مثلها فى حسن الصورة
وامتداد القامة ورشاقة الحركات ولياقة الاشارات
وسحر الطرف وتألق الظرف فتبعها العبد وهو لا يرى
موطئ قدميه من الدهش حتى بلغت منزلها فدخلته
ولزم العبد بابها ليلا ونهارا فارسلت اليه تستعفيه من
لزوم بابها وتحذره سطوة اهلها فشكى العبد الى رسولها
ما يلقاه من الشغف بها واعلم الرسول انه لا معدل
له عن بابها وانه مستميت فى طلابها فلهيت عن العبد مدة
ثم اعادت الرسول اليه فرده العبد اليها بمثل كلامه
الاول فارسلت الى العبد تقول له انى اظن بك الملل
والغدر ولولا ذلك لاسرعت الى مساعدتك وانى متزوجتك
بشرط الوفاء فان غدرت بى اهلكتك بعد ان انكل بك
نكالا يضرب به المثل فان التزمت هذا الشرط فاقدم والا فانج

بنفسك

بنفسك قبل ان يتعذر عليك الخلاص وقد كان يقال اربعة
ترفع الرحمة عنهم اذا نزل بهم المكروه من كذب طبيبه فيما
يصف له من دوائه ومن تعاطى مالا يستقل باعبائه
ومن يذل ماله فى لذاته ومن قدم على ما حذر من افاته وكان
يقال من بصرك فقد نصرك ومن وعظك فقد ايقظك
وكان يقال من اوضح وبين فقد نصح وزين ومن حذر
وبصر فقد اعذر وما قصر قال المصحف فالتزم العبد شرط
واعطى من نفسه المواثيق على الوفاء فتزوج العبد المرأة
وبلغ منها امنيته فلبث معها مدة فزارتها قريبة لها
فلمحها العبد فاعجبته ومالت نفسه اليها فتبعها الى منزلها
وجعل يراسلها ويلازم بابها فتبرمت منه وشكته الى
امرأته فعاتبته امرأته على ذلك وزجرته واذكرته
المواثيق والعهود ونهته فازداد العبد لجاجا فلما رأت
ذلك منه سحرته فصار اسود اللون مشوه الوجه وجعلت
تستخدمه فى كل مهنة فما شغله ما هو فيه عن ان هوى
امة سوداء فجعل يتبعها فى طرقها ويتعلق بها ويؤذيها
فلما كثر ذلك على الامة شكته الى امرأته التى سحرته وكان
يقال انما كان طبع المطبوع املك به من ادب المؤدب
لان الطبع اصلى وتمده القوى الناشئة معه فهو املك
بالنفس التى هى محله لاستيطانه اياها وكثرة اعوانه بها
والادب طارئ على المحل غريب فيه فقلما يطاع امره وكان
يقال اضل المؤدبين سعيا من رام من المتادب ان يعاونه
على نفى طبعه عنه وكيف وطبعه اولى به واقرب اليه
وآثر عنده من مؤدبه لكن المؤدب الماهر من طالب المتادب
بستر المذموم من طباعه وتعميته والتورية عنه قال

المضحك فلما بلغ امرأة العبد ما كان منه اشتد غضبها عليه
فسحرته فصار حمارا وجعلت توجره وتكريه ممن يستعمله
فى اى الاعمال اشق ويستعمله اثقلها وفى نقل الزبل والاحمال
الرذلة فلبث بذلك مدة ولم يشغله ما هو فيه من البلاء
عن ان هوى اتانا للقوم فاشتد شغفه بها فكان كلما رآها
نهق وطلبها اشد الطلب ويردعنها بالضرب فيلقى من
ذلك بلاء شديدا ثم اتفق ان امرأة العبد التى سحرته زارت
ابنة الملك التى بتلك المدينة فكانت معها فى علولها تشرف
منه على ما حوله وكان العبد فى ذلك اليوم قد استأجره
شيخ ضعيف البدن كبير السن فاحتمل عليه اوانى فخار فى
جولقين ومر به على قصر ابنة الملك بالاتفاق فرأى عند القصر
تلك الاتان التى يهواها فما ملك نفسه ان نهق وقصدها
وفعل ما تفعل الحمير عند مثل ذلك وجعل الناس يضربونه
من كل جانب والفخار يتساقط عن ظهره متكسرا والشيخ
صاحب الفخار يعطعط ويصيح ويستغيث بالناس وجعل
الصبيان والسفلة يعطعطون من كل جهة والاتان فارة
بين يديه ترمحه وهو يطلبها فى تلك الحال فرأت ابنة الملك
ذلك كله فاعجبها واضحكها فقالت لها امرأة العبد التى سحرته
يا ابنة الملك الا اخبرك باعجب مما رأيت من هذا الحمار فقالت
لها بلى فافعلى فقالت انه زوجى وقصت عليها خبر العبد
فاشتد تعجبها مما سمعت وسرت به ثم امرتها ورغبت اليها
ان تزيل عن العبد ما سحرته به وتبطله وتخلى سبيله فاجابتها
الى ذلك وابطلت السحر عن العبد فعاد بشرا سويا ولم يكن
له هم الا الفرار من بلاد السند قيل فلما انتهى المضحك من
حديثه الى هذا المبلغ سكت وكان الملك يزدجرد قد اشتد

ضحكه لما سمع من حديث المضحك ولما شاهده من لطيف حركاته
فى وقت حديثه فلما سكن ضحكه وعاوده الوقار والانفة
اقبل على المضحك وقد اكفهر له وقال له ويحك ما حملك
على ان تكذب هذه الكذبة الشنعاء كانك ما علمت انا نتخذ
برعيتنا الكذب ونعاقبها عليه وقد كان يقال الكذب
كالسموم التى تقتل متى استعملت مفردة قتلت وان ركبت مع
غيرها من الادوية نفعت فلا ينبغى للملك ان يطلق الكذب
الا لمن يستعمله فى المصالح كالكذب فى كيد الاعداء وتاليف
البعداء كما لا ينبغى ان يطلق ملك تلك السموم التى ذكرناها
الا للمامونين عليها المانعين لها من المفسدين فقال المضحك
ايها الملك السعيد ان هذا مثل تضمن من الحكم ما يعود بمصلحة
المرتاض به والذى حملنى على ذكره امر يلزم ستره عن غير
الملك فاشار الملك الى جلسائه فقاموا وخرجوا عن المجلس
ثم قال للمضحك هات ما عندك فقال المضحك ان عبد الملك
يخبره ان ولده الفاضل بهرام عاشق فقال الملك لمن قال
لابنة الاصبهيد ومعنى هذا الاسم وزير الوزراء فقال
الملك لقد كان من بهرام فى هذه الليلة ما يدل على صدقك
ولا لوم على ولدنا فى ذلك اذ لم يضع من نفسه بمحبة ابنة
حافظ ملكنا وسيد اوليائنا وسنبلغ ولدنا امنيته ونحسن
اليك باطلاعنا على امره فاكتم ذلك علينا حتى يتم امرنا فيه
بمشيئة الازلى الواهب المصور ثم ان يزدجرد اذن لولده
ولندمائه وسماره ومطربيه ان يعودوا الى مجالسهم فعادوا
واخذوا فيما كانوا فيه اولا وعادوا الى يزدجرد سروره
وطربه الى ان انقضى مجلسه وخرج القوم من عنده فتبع
المضحك بهرام فاخبره بالخبر على وجهه فشكره ووصله

ثم ان يزدجرد انكح ابنه بهرام ابنة الاصهيد ولم يزل بهرام
يروض نفسه على الرضى بخدمة ابيه حتى انقادت لما اراد
منها فلبث بذلك الى ان قدم اخ لقيصر ملك الروم على
يزدجرد ساعيا في الصلح والهدنة والموادعة فاكبر يزدجرد
قدره واكرم قصده وعرف فضيلته وفضله واحسن
نزله فلما رأى بهرام منزلة اخي قيصر عنده استشفع به
عند ابيه في رده الى النعمان فشفعه واذن لبهرام فتحول
الى بلاد العرب فكان فيها على ما احب الى ان هلك ابوه
يزدجرد قال المؤلف عفى الله عنه وقد عن لي ان اذكر في
هذه السلوانة ما تكمل به بهجتها وهو الاخبار عن هلاك
يزدجرد وما احدث رعيته من بعده وكيفية مصير
الملك الى بهرام ولده وذلك فيما ذكره المعتنون باخبار
ملك الفرس والله اعلم ان يزدجرد لما كثر عسفه واشتد
عتوه وعدل عما نهجه سلفه من العدل والرأفة اجتمع وجوه
رعيته من ذوي الصلاح عندهم فدعوا الله سبحانه وتعالى
على يزدجرد وسالوه معافاتهم منه فرحم الله عز وجل
ضراعتهم واستجاب دعاءهم فبينما يزدجرد جالسا
في منزله له اذ دخل عليه حاجبه فاخبره ان فرسا حسنا
عربا قد جمع محاسن صفات الخيل وهو ذو صورة لم ير
الراؤون مثلها جاء يشتد عدوا حتى قام بباب الملك
وان الناس تهيبوه فلم يجسر احد يدنو منه وان الخيل قد
نافرته فما تقدم عليه فاستخف يزدجرد ما سمعه من
وصف الفرس فنهض نحو الفرس فلما عاينه ملئ به اعجابا
ودنا منه فخضع له الفرس فمسح يزدجرد بناصيته ووجهه
وقبض بناصيته وامر بالجامه واسراجه فالجم واسرج

فيقال

فيقال ان يزدجرد استدار بالفرس ومسح كفله فرمحه الفرس
رمحة خر منها ميتا وملئ الفرس بسرجه عدوا فما عرف اين
يتوجه كما لا يعرف من اين جاء ويقال بل ركبه يزدجرد
فحركه فسبق الابصار حتى اتى البحر فاقتحم فيه والله
اعلم اى ذلك كان فلما راوا ان الله قد اراحهم منه اجمعوا
على ان يخرجوا الملك عن ولده بهرام خوفا من ان يسن
فيهم سنة ابيه فملكوا عليهم ملكا من ابناء ملوكهم
السالفة يقال له كسرى وكان مرضيا عندهم فما شرعه
يزدجرد من المظالم واعفى الفرس من جميع ما كرهوه فعرف
الفرس بركة رأيهم فى تمليكه عليهم وانتهى الخبر الى النعمان
فاطلع عليه بهرام واخبره انه عاضده وناصره وباذل
نفسه وماله ورجاله فى مرضاته فشكر له بهرام ذلك
وأمره بشن الغارات فى اطراف بلاد الفرس مع الكف عن
سفك الدماء فامر النعمان العرب بفعل ذلك ففعلوه
فاشتد ضررهم وارسلوا الى النعمان يستعفونه ويسألونه
العود الى احسان المجاورة فلما انتهى الرسل الى النعمان قال
لهم انما انا خادم الملك بهرام افعل ما امرنى به فاذهبوا
اليه فلما ذهبوا اليه وعاينوه ملأ عيونهم جمالا وصدورهم
جلالا فخروا له ساجدين وسألوه العفو والصفح فاجمل
خطابهم وبسط آمالهم وامرهم ان يبلغوا من وراءهم
انه حسن الرأى فيهم مؤمل لاصلاح شأنهم وانه متوجه اليهم
ليتولى اخبارهم بنفسه واقامة الحجة عليهم فتأهبوا لذلك
ثم صرف الرسل مكرمين وامر النعمان فكتب له عشر كتائب
فى كل كتيبة الف فارس من انجاد العرب ثم سار فيهم
وسار النعمان بين يديه فى جيش كثيف فلم يكن عند

الفرس لهم مدافع حتى انتهوا الى دار الملك فنزل بظاهرها
فخرج اليهم زعماء الفرس وحفظة دينهم ونصب لبهرام
كرسي فجلس عليه وقام النعمان بين يديه وتقدم اليه
القوم فسجدوا له واذن لهم في الكلام فتكلم رييس
الموبذه فحمد الله واثنى عليه وذكر رأفته بخلقه ثم ذكر
ما سار به يزدجرد من الجور والعسف وما فعل الله به
ثم اتبع ذلك كراهة الفرس لتمليك ولده بما يتخوفونه
من سلوكه سبيل والده لاسيما وقد نشا بين الاعراب
الذين يصلحون جسومهم بخراب الارض وسالوه ان
يعفي الفرس مما سالوه فيه من الكراهة فانهم لا يملكونه
طائعين ولا يقصرون عن دفاعه بكل ما امكنهم فلما
انقضى كلام رييس الموبذة تكلم بهرام فحمد الله سبحانه
واثنى عليه وشكر نعمه المتواترة عليه وصدق رييس
الموبذة فيما نسب الى يزدجرد من الجور والعسف ثم اتبع
بذلك ما يتمناه من مصير الملك اليه ليزيل رسوم الجور
ويشد قواعد الحق ويذيق الرعية من حلاوة رافته
واحسانه اضعاف ما اذاقهم ابوه من غلظته واساءته
واعلمهم انه لا يترك ميراث ابيه وانه مع ذلك يدعوهم
الى ان يضعوا تاج الملك وزينته بين اسدين ضاريين
ويحضر هو وكسرى المتغلب على ملكه فمن اخذ التاج
والزينة من بين الاسدين فهو بالملك اولى وذكر لهم
انه ما يفعل ذلك الا رافة برعيته وصونا لهم عن مقاومته
ودفاعه وثقة بنصر الله عز وجل وعونه لما يعلم من
حسن طويته وخلوص نيته ورغبته في اصلاح الارض
واهلها فرضي زعماء الفرس بما بذله بهرام من نفسه وجوا

الرعية

الراحة منه من غير مشقة تنالهم في دفعه وانقلبوا عنه
متعجبين من جماله وكماله وفصاحة لسانه ثم عمد والى
اسدين ضاريين فجوعوهما واخرجوهما الى ظاهر
المدينة في قفصين من حديد في عنق كل واحد منهما
سلسلة في طرفها وتد من حديد فضربوا الوتدين
في جهتين مختلفتين وجعلوا تاج الملك وزينته بينهما
بحيث يمكن كل واحد من الاسدين الوصول اليهما والذب
عنهما وفتحوا القفصين عن الاسدين فخرجا وقد اجتمعت
امة عظيمة من الفرس والجتمع العرب وقاموا بازائهم
فخرج بهرام من قبته وشد وسطه بمنطقته وجمع ذيوله
اليها وقام بازاء الاسدين بين الصفوف ونادى
كسرى ان اخرج ايها المتوثب على ملكنا المتنصب على كرسينا
المتغلب على ميراثنا من اباءنا فخذ تاج الملك الذى انتزعته
من اهله فاجابه كسرى انك اولى بالتقدم الى ما اعطيت
من نفسك لانك الداعى اليه المتبرع به ثم انك تطلب الملك
بوراثة وانا غاصب فدنا بهرام من الاسدين ولا سلاح
معه فلما رأى رئيس الموبذة ان بهرام قد عزم على فعل
ما بذل من نفسه ناداه يا بهرام انك مسميت نفسك
ولا اثم علينا فيك فقال بهرام اجل انما جعلت ذلك على
نفسي رأفة بكم ولابد من فعله فقال له رئيس الموبذة
ان كنت قد عزمت على ذلك فتبرأ الى الله سبحانه بذنوبك
وتب اليه واستغفره فذكر بهرام ذنوبه وتاب الى الله
عز وجل منها وساله العون ثم دنا من احد الاسدين
فقصده الاسد الاخر فلما قاربه راغ منه بهرام روغة
ثم وثب من الارض فاذا هو على ظهر الاسد وضمه بوركيه

ضمة تبادلها الاسد وبهت وفرج بين قوائمه وثبت بمكانه
يلهث فقصده الآخر فانتهى اليه حتى الصق رأسه براس
الاسد الآخر الذي تحته ولم يمكنه السلسلة من ان تقدم
فقبض بهرام على اذنيه وجعل يضرب براس احدهما
الآخر حتى سقطا ميتين فقام بهرام قائما على قدميه وحمد
الله واثنى عليه وشكره على صونه وعونه وازال ذيوله
من منطقته وتناول تاج الملك فوضعه على رأسه فناداه
كسرى الذي كان الفرس ملكوه ليهن بهرام الملك بن
الملك بما اعطاه الله تعالى من ميراث سلفه فكلنا له سامع
مطيع ثم ارتفعت اصوات الفرس بالدعاء له وتقدم اليه
موبذ موبذان فأخذ بيده واجلسه على سرير الملك وشد
عليه زينة الملك وبايع له بالطاعة وتتابع تبايع زعماء
الفرس على ذلك وركب بهرام فدخل المدينة ونزل بقصر
ابيه وفرق الاموال في ذوي الحاجات واهل النجدة وحبى
النعمان وشرفه وتوجه واجاز الفرس الذين صحبوه باسرهم
على اقدارهم ثم وفى للرعية بمواعيده ووصلهم باحسانه
ولم يزل محمودا فيهم حتى هلك وقد دون الفرس له اخبارا
غير ذلك والحمد لله وحده

السلوانة الخامسة وهي سلوانة الزهد

قال الله سبحانه تبارك وتعالى ذكره وتقدس اسمه مخاطبا
احكم من استخلفه في ارضيه واعلم من كلفه بما يرتضيه الذي
كان عاضده على ما يستكفيه وعاصمه فيما يبديه ويخفيه
ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة
الدنيا لنفتنهم فيه هذا بعد ان خيره بين ان يكون نبيا ملكا
او نبيا عبدا فاختار فقر الملك على غنى الملك وانشدوا

فى ذلك

قال له جبريل عن ربه خيرت فاختر ياولى الهدى
نبوة فى حال عبدية تحوى بها القدح المعلى غدا
اوحال تمليك تخر العدا بين يديه صغرا سجدا
فاختار ما يحظى به اجلا لله ما اهدى وما اسعدا

خبر نبوى فى الزهد روى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ملكا ممن كان قبلكم بيناهو فى ملكه ادركه الخوف يريد الخوف من الله تعالى قال فترك ملكه وخرج حتى اتى النيل فكان على شاطئه يضرب اللبن يعنى الطوب ويقتات من ثمنه فسمع الملك الذى كان بالقرب من ارضه بخبره فارسل يقول له انى اريدك فكن مكانك حتى الحق بك ثم ترك الآخر ملكه ولحق به فكان امرهما واحدا الى ان هلكا وروينا بلفظ آخر قال عبد الله ابن مسعود بينا رجل فى موكبه تذكر فعلم ان ماهو فيه منقطع وانه قد شغله عن عبادة الله عز وجل فانساب عن قصره ليلا وصار الى مملكة غيره فاتى الى ساحل البحر يضرب اللبن ويغتذى من ذلك كرعيته فبلغ الملك الذى هو فى مملكته خبره فركب اليه وسأله عن حاله ومن هو فاعلمه وقال له انا فلان ملك كذا علمت ان ماكنت فيه منقطع وقد شغلنى عن عبادة ربى فعرفه وعرف انه ترك ملكه ابتغاء لعبادة الله وطلبا للدار الاخرة فقال له الملك ما انت بما صنعت بنفسك باحق منى ثم خلى سبيل ملكه وتبعه فكانا يعبدان الله عز وجل جميعا وسألاه ان يميتهما جميعا فاستجيب لهما وماتا جميعا قال عبد الله بن مسعود لو كنت بمصر لاريتكم قبريهما بالنعت الذى نعتهما لنا رسول الله

صلى الله عليه وسلم

منثور ومنظوم من الحكم الزهدية

روي ان سليمان بن عبد الملك قال لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حين رأى ما صار اليه من الملك حسنا يا عمر كيف ترى ما نحن فيه فقال يا امير المؤمنين هذا سرور لولا انه غرور ونعيم لولا انه عديم وملك لولا انه هلك وفرح لولا انه ترح ولذات لولم تقترن بآفات وكرامه لو صحبها سلامه قال فبكى سليمان حتى أخضلت لحيته من دموعه ومما قلته في ذلك

يا متبعا لذة الحرص في الفضول وكاده
لو حزت ما حاز كسرى وما حوى وافاده
ما كنت الا معنى ومغرما بالزياده
لم يصف في الارض عيش الا لاهل الزهاده
فرض على الزهد نفسا فانما الخير عاده

حذار حذار من دار هي شر دار حرامها سم ناقع وعذابها راقع وحلالها نصب شاسع وامل واسع وقد قيل في ذلك

دنياك دار غرور ومتعة مستعاره
ودار لبس وكسب ومغنم وتجاره
وراس مالك نفس فاحذر عليها الخساره
ولا تبعها بأكل وطيب عرف وشاره
فان ملك سليمان لا يفي بشراره

ولي من ذلك ايضا

انا بدار تردى محاربها وتحقر الامال في موادعها
وتستفز الحليم عن سنن القصد وتغبي على مخادعها
من رام ابقاءها عليه فقد حاول ما ليس في طبائعها

اسرع ما تفتجى بوائقها　　يوما اذا استجمعت لجامعها
فته عليها وانى بنفسك عن　　طلابها واقتفاء تابعها
واشفق عصى بيعة الغرورها　　وانبذ صرلها الى مبايعها
عمرى لقد انذرت منذرة　　ناجعة تصحها لسامعها
موذنة انها مؤدبه　　لساعة آه من قوارعها
فالامن والله من فجائعها　　يضمنه الزهد فى مطامعها

ومن ذلك ايضا

راعك الزهد انما الزهد رفض　　لفضول يلهى ويطغى ويردى
ثم لا يمكن الزهادة فى المقسوم رزقا بل من ضروب التعدى
رحبا بالكفاف عفوا هنيا　　ثم لا مرحبا بحرص وكد
ها علمنا وقد راينا كثيرا　　وسمعنا من حاز جدا بجد
لا يزال الحريص يستامه الحر　　ص بنصب من الشقاء ونكد
ثم لا يستطيع ان يتعدى　　قدر ما الحتمه من مرد

قيل ان خرقة بنت ابى قابوس النعمان بن المنذر استاذنت بالفارسية على سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه فاذن لها فدخلت عليه فى جواريها وعليهن المسوح ومقطعات السلب السود فراى منظرا شنيعا لم تتميز له خرقة من جواريها لمشاركتها اياهن فى الزى وكن رواهب فسلمن عليه فقال ايتكن خرقة فقالت الخرقة ها انا ذه فقال انت خرقة قالت نعم فما تكرارك استفهامى وكان قد سالها عن نفسها حين دخولها ثم قالت ايها الامير ان الدنيا دار قلعة وزوال فما تدوم لاحد على حال تنتقل باهلها انتقالا وتعقبهم حالا فحالا وانا نحن كنا ملوك هذه الارض يجبى الينا خراجها ويطيعنا اهلها مدى المدة وزمان الدولة فلما ادبر الامر صاح بنا صايح الدهر فصدع عصانا وشتت ملانا وكذا

الدهر يا سعد ذو نوايب وصروف انه ليس من قوم تحفهم بخيره الا اورثهم بضيره ولا اسعفهم بفرحه الا اعقبهم بترحه ثم انشأت تقول

فبينا نسوس الناس والامر امرنا ... اذا نحن فيهم سوقة ليس تنصف
فاف لدار لا يدوم نعيمها ... تقلب تارات بنا وتصرف

وبينما الحرقة تخاطب سعدا رضي الله عنه اذ دخل عليه عمرو ابن معدي كرب الزبيدي فنظر الى الحرقة وقال لها انت الحرقة التي كانت تفرش لك الارض من قصرك الى بيعتك بالديباج المبطن بالوشي فقالت نعم فقال لها عمرو وما الذي دهمك واذهب محمودات شيمك وغور ينابيع نعمك وقطع سطوات نقمك فقالت يا عمرو ان للدهر عثرات تلحق السيد من الملوك بالعبد المملوك وتخفض ذا الرفعة وتذل ذا المنعة وان هذا امر كنا ننتظره فلما حل لم تنكره ثم ان سعدا سألها عما قصدت لاجله فاستوصلته فاجزل صلتها وقضى حوايجها وردها مكرمة ولما فصلت عنه سئلت ما ذا لقيت منه فانشأت تقول

صان لي ذمتي واكرم وجهي ... انما يكرم الكريم الكرام

روضة رائقة ورياضة فائقة

قال المؤلف عفى الله تعالى عنه نذكر ان شاء الله هنا من زهد الملوك ما يوافق الخبر النبوي الذي قدمناه آنفا وهو زهدهم في الملك مع نبذهم له وتخليهم منه ولا نتعرض لذكر من زهد في نعيم الملك ولم ينبذه لاستقلاله باعباء سياسة الخلق بالحق راعيا الزهادة والعبادة مع ذلك كداود وسليمان والانبياء عليهم السلام وابي بكر وعمر والخلفاء المهذبين رضي الله تعالى عنهم فان هذا الفن يخرج عن هذا

التبويب ولا يندرج في هذه الاساليب والله المستعان
فمن ذلك ما بلغني ان معاوية بن يزيد بن معاوية بن ابي سفيان
رضي الله عنهم اجمعين كان على صغر سنه عالما عاملا متبتلا
متنفلا قد ذلل نفسه بالتقوى وصدف بها عن زينة
الحياة الدنيا افضت الخلافة اليه وسنه سبعة عشر سنة
فخامره الندم على تحملها فاطلع اهل بيته على ذلك فكرهوه منه
ولبثوا بذلك عشرين ليلة يناظرونه فيه وينهونه عن اظهار
كراهته فلما راوا انه غير منته ولا بد له من خلع نفسه دعوه
ان يعهد لاحدهم فقال لهم كيف اتجرع مرارة فقدها واتقلد
تبعة عهدها ولو كنت مؤثرا بها احدا لآثرت نفسي ثم انه
خطب الناس فذكر لهم عجزه عن القيام بامرهم وعهد اليهم
ان ينظروا لانفسهم واحلهم من بيعته وانصرف واغلق
بابه ولم ياذن لاحد فلبث بذلك خمسا وعشرين ليلة وقيل
عشرين ليلة ثم لحق بربه سبحانه فرحمة الله عليه وقال علي
ابن الجهم في ذلك من ارجوزة تاريخه في امر معاوية عفى
الله تعالى عنه

ثم ابنه معية المضعف كان له دين وعقل يعرف
ودام شهرا ثم نصف شهر وجاءه الموت عزيز الامر
وترك الناس بغير عهد توقيا منه وفضل زهد

قال المؤلف عفى الله عنه كلام علي بن الجهم هذا يتضمن ان معاوية
لم يخلع نفسه والمعروف ما قد ذكرناه وانما قال معية وهو
معاوية لان الناس استضعفوه لتركه الخلافة وكذلك كونه
ابا ليلى وهو كنية المستضعف وقد بلغني ان الباعث له على
الزهد في الخلافة والنبذ لها انه سمع جاريتين له يتلاحيان
وكانت احداهما بارعة في الجمال فقالت لها الاخرى لقد

اكسبك جمالك كبر الملوك فهو الملك حقا فقالت لها الاخرى
واى خير فى الملك وصاحبه اما قائم بحقوقه وعامل بالشكر
فيه فذاك مسلوب اللذة عديم القرار منغص العيش واما
منقاد لشهواته مؤثر للذاته مضيع لحقوقه مصروف عن
الشكر فمصيره ذلك الى النار فوقعت الكلمة فى نفس معاوية
موقعا مؤثرا وحملته على الانخلاع من امر الخلافة والله تعالى
اعلم   روضة رائقه ورياضة فائقه
قيل كان عدى بن زيد العبادى قد دخل ارض الروم رسولا
لملك الفرس فاقتبس من علومهم وقرا كتابا جمة وكان ذا مكانة
من ملك الفرس كاتبا وترجمانا له وكان ابوه زيد واليا على
الحيرة وخليفة للمنذر بن ماء السماء فكان عدى بن زيد
عند ملوك الحيرة من لخم لاجل ما ذكرناه فى اعلى المراتب
قيل انه حضر يوما عند النعمان بن امرئ القيس بن عدى ملك
الحيرة وهو بالخورنق والخورنق قصر قدمنا ذكره فاشرف
النعمان على ما حوله من جوانب القصر وذلك فى فصل الربيع
فتأمل مليا ثم اقبل على عدى بن زيد فقال له يا عدى اكل ما ارى
الى نفاد وزوال فقال عدى قد علم الملك ان الامر على ما ذكره
فقال النعمان فاى خير فيما يفنى ويبيد وينفد ثم قلما
لبث ان تنصر وترهب وساح فى الارض وقيل بل كان
معجبا بالزهر المسمى شقائق النعمان واليه ينسب لانه
كان يتبع رياضه ويحميه وانه قصد يوما من ايام
الربيع غب سما متنزها وقد كساه ذلك النور والشقيقة
رملة مستطيلة فلما عاين ذلك النور متنضدا فى منابته وقنو
حمرته وخضرة سوقه وتموجه بهبوب النسيم عليه وتناثر
قطر الندا من ارجائه راى منظرا عجيبا بهيجا فامر فبسط له

بازاء تلك الشقيقة بساط موشى من حرير فكأنما كان روضة مختلفة الالوان مكللة بأصناف الزهر ونصب له عليه قبة من الديباج الاحمر وقد شحنت من المقاعد والحشايا والنمارق والمساند بما يضاهيها وتجانسها ولبس من الحرير المصبوغ بالبهرمان يعنى المعصفر افضل ما يمكنه وجلس فى قبته تلك مواجها للشقيقة وحوله ندماؤه وملهوه وعنده عدى بن زيد فشرب وطرب ودبت فيه الراح فارتاح ثم اقبل على عدى فخاطبه بما ذكرناه آنفا فلما سمع عدى مقالته اهتبل الفرصة فى موعظته بما حكيناه وازمع الزيادة فى ايقاظه من غفلته فامهله حتى أنقضى اربه من مجلسه ذلك وركب فسايره عدى الى ان مر بقبور بظاهر الحيرة فقال عدى للنعمان ابيت اللعن ايها الملك اتدرى ما تقول هذه القبور قال النعمان لا فقال عدى فانها تقول

يا ايها الركب سيروا ان قصدكم … ان تصبحوا يوما لا تسيرونا
حثوا الركاب وارخوا من ازمتها … قبل الممات وقضوا ما تقضونا
انا كما كنتم كنا وانكم … عما قليل كما صرنا تصيرونا

قال فلما سمع النعمان مقالته راجعته الفكرة السالفة وظهر عليه الانكسار ثم مر بشجرات متناوحات بينهن سحة فيها عين جارية فقال عدى للنعمان اتدرى ما تقول هذه الشجرات ايها الملك فقال الملك لا فقال عدى انهن يقلن

رب ركب قد اناخوا حولنا … يشربون الخمر بالماء الزلال
والاباريق عليها فدم … وجياد الخيل تزهو فى الجلال
عمروا دهرا بعيش حسن … آمنا دهرهم غير عجال
ثم اضحوا عسف الدهر بهم … وكذاك الدهر يردى بالرجال
وكذاك الدهر يرمى بالفتى … فى طلاب العيش حالا بعد حال

من رآنا فليحدث نفسه انه وقف على قرن زوال
وصروف الدهر لا تبقى لها ولما تأتي به صم الجبال
ويقال ان ذلك كان بينهما بموطن آخر وانه اشار بقوله هذا
الى قبور كما اشار به اولا قيل فلما بلغ النعمان قصره قال
لعدى اذا كان السحر فاحضر فان عندى خبرا اطلعك عليه
على جليته فلما كان السحر جاء عدى فوجد النعمان قد لبس مسحا
واخذ اهبة السياحة فودعه وذهب ولم يعلم له خبر
قال المؤلف عفى الله عنه وعندى ان السائح المترهب هو
النعمان بن المنذر الاكبر ولم يدركه عدى بن زيد ولكن ذكره
في شعره والذى ادركه عدى انما هو النعمان بن المنذر
الاصغر وان عديا نبهه بما خفى عنه تنبيها اقتضى تنصره
لا سياحته بل هو الذى قتل عديا وبقى في ملكه الى ان قتله
كسرى والله سبحانه وتعالى اعلم بذلك واى ذلك كان وبالجملة
ففى ذلك يقول عدى بن زيد

ايها الشامت المعير بالدهر أانت المبرأ الموفور
ام لديك العهد الوثيق من الايام ام انت جاهل مغرور
من رأيت الايام اعززن ام من ذا عليه من ان يضام خفير
اين كسرى كسرى الملوك ابو سا سان ام اين قبله سابور
وبنو الاصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور
واخو الحضر اذ بناه واذ دجلة يجبى اليه والخابور
شاده مرمرا وجلله كلسا فللطير في ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فباد الملك عنه فبابه مهجور
سره حاله وكثرة ما يملك والبحر معرضا والسدير
فارعوى قلبه فقال وما غبطة حى الى الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والا مة وارتهم هناك القبور

ثم اضحوا كانهم ورق جف فالوت به الصبا والدبور

روضة رائقه ورياضة فائقه

قيل ان ملكا من ملوك اليونانيين قام من منامه فى بعض الغدوات فاتته قينة كانت قيمة له تلبسه ثيابه فلبسها ثم ناولته المرآة فنظر فيها فرأى شيبة فى لحيته فقال هات المقراض يا جارية فاتته به فقص الشيبة فتناولتها الجارية وكانت اديبة لبيبة فوضعتها فى كفها واصغت اليها باذنها ساعة والملك ينظر اليها ويتأملها متعجبا فقال لها ما تصنعين فقالت اسمع الى ما تقول هذه الشعرة التى عظم مصابها بفقد الكرامة العظمى حتى سخطها الملك وكرهها فابعدها واقصاها فقال لها الملك وما الذى سمعت من قولها قالت زعم قلبى انه سمعها تقول كلاما لا يجترى لسانى ان ينطق به خوفا من الملك واتقاء سطوته الا ان امنتنى فقال لها الملك قولى آمنة ما لزمت اسلوب الحكمة فقالت الجارية انها تقول ايها الملك المسلط على الى امد قصير انى كنت قبل ظهورى قد ظننت بك البطش بى والاعتداء على فلم اظهر على سطح جسدك حتى بيضت وحنيت بيضاتى حتى افرخن وعهدت الى بناتى عهدا فى الأخذ بثارى منك وكان قد خرجن فيعجلن الاخذ فأخذن بثارهم منك اما باستئصالك واما بتنغيص لذتك او بضعف قوتك حتى تعد الهلاك راحة فقال لها الملك اكتبى كلامك هذا فكتبته له فقراه وتصفحه مرارا ثم نهض مبادرا فاتى هيكلا من الهياكل المعظمة عندهم فنزع عنه لباس الملك وتزيا بزى اهل العبادة ونساك الهياكل ولزم ذلك الهيكل وبلغ خبره الى اهل مملكته فبادروا اليه وطالبوه

بالعود الى محل مملكته فامتنع عليهم وسألهم اقالته وتمليك
غيره عليهم فامتنعوا عليه وهموا بامتحانه فاصلح بينهم
النساك على ان يتركوه فى الهيكل يعبد ربه ويستكفى بمن
يستناب فى مثله امر رعيته وبلى الملك بنفسه غيره واقام
على ذلك الى ان مات رحمه الله

روضة رائقه ورياضة فائقه

بلغنى ان ملكا من ملوك اللان كان كافرا عاتيا متكبرا
شديد العتو والكبر حديث السن مستحكم العزة وكان اذا
ركب لم يستطع احد ان يرفع صوته الا بالثناء عليه والمدح
له والشكر لاحسانه وكان له وزير مؤمن يعبد الله تعالى
يكتم ايمانه ويتحير وقتا يمكنه فيه دعوة ذلك الملك الى الله
تعالى فركب الملك يوما فسمع شيخا قد رفع صوته لبعض
شأنه فقال للاعوان اعنى الشرطة خذوه فلما اخذوا الشيخ
قال ربى الله وحده فصرخ الوزير للشرطة وقال خلوا عنه
فخلوا عنه فاشتد غضب الملك على وزيره ولم يمكنه الانكار
عليه فى ذلك المقام لئلا يظهر للناس ان الوزير يخالف الملك
فيما يأمر به وسكت ليوهم الناس ان الوزير انما امرهما اراده
الملك فلما انصرف الملك الى مستقره احضر الوزير وقال له
ما الذى دعاك الى مناقضة امرى بمشهد من عبيدى فقال
الوزير ان لم يعجل على الملك اريته وجه نصحى واشفاقى وحنوى
عليه فيما اتيته فقال له الملك ارنى ذلك فانى لا اعجل عليك
فى المواخذة فقال اريد ان يحتجب الملك فى مجلسه هذا
ويكون بحيث يرى ويسمع من حجابه ففعل الملك ذلك ثم
ان الوزير احضر قوسا صنعها للملك بعض خدمه وكتب
الصانع اسمه عليها فناولها الوزير غلاما بحضرته وقال

للغلام انى محضر صانع هذا القوس فاذا حضر واقبلت
عليه بالمحادثة فاقرأ الاسم الذى على القوس جهرا حتى نعلم
ان صانعها قد سمعك ثم اكسرها على ركبتك فاحضر القواس
وفعل الغلام ما امره به الوزير فلما كسر القوس لم يتمالك
صانعها نفسه ان ضرب الغلام فشجه فقال له الوزير
ويحك اتضرب غلامى بحضرتى فقال القواس ان القوس
عملى ايها الوزير وهو فى غاية الحسن والجودة فلاى شئ كسرها
فقال له الوزير لعله لم يعلم انها عملك فقال له قد اخبرته
القوس بانها عملى فقال له الوزير كيف اخبرته القوس وهى
لا تنطق فقال ايها الوزير هذا وسم اسمى عليها وقد قرأه
وانا اسمع فصرف الوزير القواس ثم اقبل على الملك وقال
له قد اريت الملك وجه اشفاقى عليه ونصحى له بما كان
منى فان الملك لما اراد ان يسطو على الشيخ اخبره الشيخ ان الله
ربه فخفت على الملك ان يبطش به رب الشيخ وليس يقوم
لبطشه شئ غيرة منه على صنعته ان تفسد عبثا فقال
الملك لوزيره وهل للشيخ رب غيرى فقال له الوزير المرء
الملك شيخا والملك شاب فهل كان هذا الشيخ قبل ان يولد
الملك الا شاهد الوجود فهل كان لا رب له فقال الملك لا
بل كان ابو الملك ربه فقال الوزير فما بال المربوب بقى بعد
هلاك ربه فقال الملك للوزير لقد قدحت فى كبدى بزند
غير صالدة ولقد علمت الآن انه يجب ان يكون للممالك
والمملوك رب لا يزول فهل تعرفه فتدلنى عليه فقال الوزير
نعم اعرفه انه تعرف الى بنعمته وآلائه وحلمه حتى عرفته
فقال الملك دلنى عليه اكن لك تبعا ما بقيت فقال الوزير
اما دلالتك عليه فاول ما يجب على واما اتباعك لى فلئن

فعلت فانما نتبع عبدك الذى يقيلك بمحبته مما يهيلك ثم ان
الوزير تلطف في دلالته على الله سبحانه فشرح الله قلب الملك
لقبول ذلك فامن بالله ثم قال لوزيره اما لربنا خدمة اذا
احسنها العبد حظى بذلك عنده فقال الوزير بلى ايها
الملك ان له وظائف عبادة امر بها عباده ورضى لهم فعلها
ووعدهم رضوانه عليها والقرب منه وذكر له الصلاة
والصيام وغير ذلك من شرائع المسيح عليه السلام فجعل
الملك يرتاض بها حتى رسخ فى علمها وتمرن عليها ولزم العمل بها
ثم انه قال لوزيره مالك لا تدعوا الناس الى الله كما دعوتنى فقال
له ايها الملك ان الملأ من اهل مملكتك امة ذات قلوب قسية
وهموم قصية ونفوس عصية ولست آمنهم على دمى ان تفوهت
لهم بذلك فى فقال له الملك انى فاعل ذلك ان لم تفعله انت
فقال له الوزير ليعلم الملك انهم ان لم تردهم هيبته عنى لم تردهم
عنه وساجعل نفسى وقاء لنفسه وانهم سيقتلوننى لا محالة
فلا يجترئ الملك عليهم بمثلها بعدى ثم ان الوزير استدعى الى
داره وجوه تلك المملكة وذوى تدبيرها وولاة احكامها
واهل النسك والحكم فيها فلما اجتمعوا اليه فى داره قام فيهم
خطيبا بالدعوة الى الله سبحانه فقاموا اليه وقتلوه ثم صاروا
الى الملك فاخبروه بما كان من الوزير ومنهم وقالوا له انا
ظننا ان الملك على مثل رأيه ونحب معرفة ما عنده فارضاهم
الملك بالقول والان لهم الخطاب وصوب رأيهم فى قتل
الوزير فانصرفوا راضين عنه وقلما لبث ذلك الملك ان
نبذ الملك ولحق بالرهبان فكان معهم حتى توفاه الله تبارك
وتعالى

روضة رائقة ورياضة فائقة

قبل

قيل ان ازدشير بن بابك بن ساسان ولد له في حد اثنة
سنه وبد وامره ولد فسماه بابك باسم ابيه فنشأ رائع
الصورة بارع الخلقة فشغف به ازدشر حبا والزمه
فيلسوفا ماهرا في الفلسفة راسخا في الحكمة متحليا بالزهد
وساله ازدشير ان يتخذه ولدا فاقطعه الحكيم عن ابويه
وتولى تربيته وتدريجه الى ان اضطلع باعباء علوم
الفلسفة وتبوأ مثوى الزهد ولما سعى ازدشير لضم كلمة
الفرس تم له المراد واعطاه ملوك الطوائف القيادة استمد
رأى ولده بابك فيما ناله من المهمات فظفر منه باضعاف
امنيته الا انه كان لا يشاهده ويشافهه الا انقص عليه لذته
ونقص اليه الدنيا بتصنيف المعايبها وتعريفا بشوائبها وتخوفا
من عواقبها فكان ازدشير متنغص المسرة بولده لاجل ذلك
فانه كان يقال من صحب الملوك بما يكرهونه فلا ينكرونه وكان
يقال قلما يتوفر فكر الملك على امر واحد حتى تطول عنايته
به على انفراده وذلك لكثرة ما يتجاذب خواطره من الامور
حتى اذا توفر فكره على امر واحد واجتمع له ا وشك ان يحكمه
فاذا رأيته قد اجتمع لامر واحد وتوفر عليه فلا تتعرض له
بغيره فتحول بينه وبين الفرصة التي يقل ظفره بها قيل وكان
ازدشير يحتمل ذلك لولده شغفا به وتالفا له وابقاء
عليه فقال له يوما يا بابك اتعرف اباك فقال بابك ايها الملك
السعيد ان لي ابوين ابا كان علة كوني وابا كان علة بقاي
وانا بهما عارف فقال له ازدشير صف لي اباك الذي كان
علة كونك فقال بابك ايها الملك انه ملك ملأ العيون بهاء
والاسماع ثناء والصدور رهبة والقلوب محبة ذو رأفة
شاملة وقضية فاضله وسيرة عادلة وحزم اخاف قلوب المريبين

من اجسادها وسيوفهم من اغمادها وأمن المربين من السباع الضارية من نهش انيابها والافاعي الجارية القاتلة من سمها واحقادها فالاجساد والاشباح رق لسيفه وحزمه والارواح رق لسيبه وحلمه فقال ازدشير صف لنا اباك الذي كان علة لبقائك فقال بابك ايها الملك انه حكيم عرف فضيلة نفسه فكرمها وعني بها فخدمها فقال ازدشير اخبرنا عن كيفية خدمته لنفسه فقال بابك ايها الملك انه تأمل نفسه فرآها أرضا اريضة انيقة بكل خير خليقة ذات مياه نابعة واشجار طالعة واثمار يانعة وظل ظليل ونسيم عليل الا انه القاها مأوى لأسد الغضب ونمور الجهل وذئاب الغدر وخنازير الشره وكلاب الحرص وضباع الحمق وحيات الظلم وعقارب البغي والحسد فنفى عنها هذه الافات كلها وحصنها منها فصارت خيرا محضا لا شر فيه فلما سمع ازدشير مقالة ابنه علم انه معرض عن الملك زاهد فيه نابذ له فساءه ذلك ثم اقبل عليه وقال له يا بابك ان الحكمة لا ترضى لمن اتصف بها ان يكون مربوبا مقهورا مع تمكنه من ان يكون ربا قاهرا فقال بابك ما اجدر الملك السعيد بالصدق واجراه على الاصابة ولكن ان اذن لي الملك السعيد ضربت له مثلا للرب القاهر والمربوب المقهور فقال ازدشير هات ما عندك من ذلك فقال بابك ذكران فيلا كان مكرما عند بعض الملوك وكان ربيبا انيسا اديبا وانه صيد لذلك الملك فيل وحشي فعسر على السواس رياضته وتعذر عليهم تأنيسه فرأوا ان يجعلوه مع ذلك الفيل الانيس الاديب ليأتنس به ويقتبس من ادبه ففعلوا ذلك فازداد نفارا وتوحشا فبالغ السواس في عقوبته والتضييق عليه والتجويع له

ليذل فنال منه للجهد وان الفيل الربيب لا نيس خلا به يوماً
فقال له لقد جنيت على نفسك شرا واسأت النظر لها بجهلك
ولو علمت ما يراد بك من الخير لم تفعل ما فعلت ولكنه كان
يقال العزة حجاب تحجب الالباب عن صوب الصواب وكان
يقال الجاهل ميت الاحياء وذلك لتهوره وفساد تصوره
وكان يقال لا تمنح كرامتك غير طالبها كما انه لا تنكح كريمتك
غير خاطبها فقال الفيل الوحشي للربيب وما الذي يراد مني يا
الاخ المشفق قال يطيب علفك ويستعذب موردك وينظف
مسكنك ويوكل بك خدمة يكلؤنك ويراعون شؤونك
ويجعلون لبروزك اوقات معلومات منتظرة فيجتمع اليها
الناس فتجلل بالديباج ويضرب بين يديك بآلات تهيج الطرب
وتبعث على الاختيال ثم تبرز مكرما معظما لا تعارضك
دابة ولا تهب عليك للهون هابه فقال الوحشي للربيب لا خير
ما ذكرت لي فنزع عن توحشه ونفاره وتأنى وأتى لما يراد
منه فكرم ونعم وخدم وعظم ولما اظل يوم الزينة بولغ
في خدمته وتكرمته وتنظيفه وجلل بالدجاج وشد
على ظهره سرير مزين وصعد عليه المقاتلة عليهم الدروع
والخود وبايديهم عمد الحديد وركب على عنقه دارع بيده
كلاب والبست فنطسته الزرد وشد على طرفها سيف
كبير قائم وقبض سواسه على نابيه عن يمين وشمال وبايديهم
عمد الحديد وعليهم الدروع وضربت بين يديه الطبول
والصنوج وسار على تلك الحال حتى بلغ المراد منه فلما عاد
الى مأواه قال لذلك الفيل الربيب لقد بلوت حقيقة ما حدثتني
عنه ورأيت زيادات احببت ان اسألك عنها قال ما هي
قال ما كانت تلك الاثقال التي حملت على ظهري فقال له الربيب

أولئك المقاتلة على سرير مزين ومعهم الات القتال قال فما الذين
سترت به فنطستى والذى صير على طرفها وما اراد القابضان
على نابى والراكب على عنقى فقال له الدبيب اما الذى سترت به
فنطستك فدرع يحصنها لانها مقتل واما الذى ربط اليهان
فسيف تضرب به العدو واما القابضان على نابيك فانهما يذبان
عنك الاعداء ويعينانك على الاقدام واما الراكب عنقك
فيهديك الوجه الذى يراد منك سلوكه فقال له الفيل
الوحشى لامر ما طيب علفى واستعذب موردى ونظف بدنى
ومسكنى ونوه باسمى وجمل ملبسى وانى لأرى امرا لا يفى
خيره بشره ولا يقوم نفعه بضره وبعد فلأكونن احرص
الحراص على التماس الخلاص وقد كان يقال ليس بحر من انقاد
الى لذاته وخدم سوى ذاته وكان يقال من عنى بغير نفسه
فقد بسط عليها ضره واستبسط لها ضره وكان يقال اذا كانت
الحاجة تستعبد المحتاج لمن احتاج اليه بقدر حاجته فالناس
اذا عبيد الدنيا واعبدهم لها احوجهم اليها وكان يقال اذا
كانت العبدية كناية عن خدمة المعبود والحاجة اليه فاعبد
العبيد ثلاثة الملك والمحب والمنعم عليه لاستيلاء العبودية
على ظاهرهم وباطنهم والملك اعبد الثلاثة من ذلك لان
الرعية تستخدم باطن الملك وظاهره فى تدبيرها وتأييدها
وصونها من عدوها وعونها على مصالحها وردع ظالمها
ونصر مظلومها وتأمين سبلها وسد ثغورها والاعداد لما
يقيها وينعشها فى الجدوب وما يخصها فى الحروب وجباية
فضول اموالها وصرفها فى صلاح احوالها وحسم اسباب
هيجها وازاحة علل فتنها وهرجها هذا مع شدة حاجة الملك
الى رعيته فى صون نفسه وتنفيذ امره وامحاض نصحه ودفع

عدوه فلما سمع الفيل الربيب مقالة الفيل الوحشي تبين له انه
اولى منه بالعزة والتهور وفساد التصور وقال حق ما قالت
الحكماء الجهل يحجب العيان ويقلب الاعيان وقال الحكيم لا يزال
المخطئ يرجوا ما لم يجاهره الاعجاب بخطئه فاذا اعجب حجب ثم
قال للوحشي انا مكافئك على نصيحتك اياى ومبصرك لى بان
افتح لك باب الحيلة في نجاتك لانى ابصر باخلاق الانس
وعاداتهم واهدى لك الى وجه الخلاص منهم وساتبعك
فاكون خادما لك ما بقيت ثم انهما اتفقا على ان يتظاهرا بالم
وهو داء يصيب الابل والفيلة في اعجازها فاذا اقامت ترتعد
افخاذها حتى تكاد تسقط فتعالج بالفصد وتحمل على المسير
الهون فلما تظاهر الفيلان بذلك سارع السواس الى مداواتهما
فاخرجوهما الى الصحراء وفصدوهما وسيروهما فلما بعد الفيلان
عن العمارة وامكنهما فرصة الهرب شردا ولحقا بالفيلة الوحشية
فهذا ايها الملك السعيد مثل ما ذكرت لى فلما وعى ازدشير مقالة
ولده بابك اطرق مهموما يفكر في امره وقد يئس من اجابته الى
ما يريده منه ثم انه نهض وامر بابك باتباعه حتى ادخله بيوت
امواله ومستودعات ذخائره فجعل يريه اياها وينبهه على
مزاياها حتى اتى على آخرها ثم اقبل على ولده فقال له يا بابك لمن تترك
هذا تتركه لمن هو احب اليك من نفسك واحق به منها فقال له
بابك ان اذن لى الملك السعيد ضربت له مثلا فيه جواب
ما سالنى عنه فقال له ازدشير هات ما عندك في ذلك فقال
بابك زعموا ان راعى بقر كان يرعاها لاهل قرية فكان يحسن لبقرهم
التراح والمراح فلبث بذلك برهة من الزمان طويلة وهم مغتبطون
به مثنون عليه لما اختبروا من بركة سعيه وتميز رعيه وكانوا
لا يسألونه عن شيء من امر بقرهم التى اسلموها اليه في رعيه رضى

به وطمانينة الى امانته وكفايته وقد كان يقال الموثوق
موموق والامين بالمودة قمين وكان يقال الاحسان والامانة
مملقات بكل لسان موصوفان نافقان عند كل انسان قيل
وكان الراعي يأوي عند المقيل الى صومعة راهب فيقبل
في ظلها ويكثر التأوه والأنين لمايناله من النصب فيما يعانيه
وكثر ذلك منه على الراهب الى ان خامر الراهب رقة له فاطلع
عليه يوما وقال له ايها الراعي مالي اسمعك تكثر الانين
والتأوه فقال له الراعي ان ذلك لما اتجشمه من حفظ هذه
البقر والذب عنها وتتبع المراعي الخصبة بها فاني اقوم من
ذلك بما يعجز عنه غيري واحمل نفسي المشقات فقال له
الراهب وما الذي دعاك الى الاضرار بنفسك في اصلاح
سواها ونفسك اقرب اليك واحق بسعيك فقال الراعي
لو لم افعل ذلك لما بلغت هذه البقر من السمن والوفور الى
ماترى ولقد كانت يوم وليت امرها قليلة العدد كثيرة العجف
نكبة الضروع لا تزين فناء ولا تملا اناء فقال له الراهب
لقد حدت عن مسألتي حيدة من لم يولها اقبالا ولم يلق لها
بالا اني انما سألتك عن سبب حملك على نفسك لغيرها وايثارك
من سواها بخيرها فأخبرتني بشديد عنائك وسد بداعتنائك
فاخبرني الآن عما افادك حميد سعيك وسد بدر عيك
فقال الراعي أفادني الغنى بهذه البقر لان آكل من لحوم ما سقط
منها ما شئت واطعم من شئت واتصرف في البانها وغير
ذلك من منافعها تصرف المالكين وانتجع بها من الارض
حيث شئت فهي على الحقيقة لي وبيدي فقال له الراهب
هكذا زعم راهب كان ذا ابلة ثم صح عنده بطلان زعمه
فقال الراعي للراهب اخبرني عن ذلك فقال له ذكر انه كان

راهب سائح متعبد وكان متولعا بالسياحة فمر في بعض
سياحته بدير قديم كان حسن البناء فتثلمت حيطانه وهو
بمكان طيب تربه وبين يديه ارض اريضة فيحاء ذات ماء
عذب وفي ذلك الدير نفر من ضعفاء الرهبان ومساكينهم
وقد التجؤا الى جدار ذلك الدير يأوون اليه اطراف النهار
فاعجبه الدير واوطنه وكان قوي البدن شديد الحيل
جلدا معمارا فاصلح ما انثلم من جدران الدير وتهدم وعمر
الارض التي عنده فاحتفر سواقيها واجرى ماءها وغرس فيها
صنوف الاشجار فدرت منافع الدير وقصده الرهبان
فاوطنوه وسادهم ذلك الراهب السائح وتقدم عليهم
فاتخذ العبيد والدواب والات عمارة الارض واضاف
الى ارض الدير ما جاورها من الارض وغرس فيها من الكروم
والزيتون واللوز شيئا كثيرا فعظمت المنافع وكثرت الجباية
ورغب السائح في جمع الدنيا ولحرم المساكين واتخذ كنزا
نفيسا في اقرب مدة وقد كان يقال المال كالماء من استكثر
منه ولم يجعل له مسربا ينصرف فيه على ما زاد على الكفاية
وقدر الحاجة غرق به وكان يقال المواساة في المال والجاه
بعود بقاؤها فلما عامل الراهب السائح من عمر معه مغارة
الدير بالحرمان واستأثر دونهم بالمال اكثروا اشكايته
وقبحت المقالة فيه واجترأ عليه من كان يهابه وافضت
الحاجة بهم الى مكاشفته فجاهروه ودعوه الى المواساة
والانصاف فيما بيديه فقال لهم كيف اعطيكم مالي الذي
كسبته بكدي واستفرغت في تحصيله جهدي فقالوا اله بل
هو مال الله ولكل واحد منا فيه جزء هو حقه ولك الفضل
علينا بتثميته وصونه فقال لهم ستعلمون مال من هو ولما

جن عليه الليل امر عبيده فعقروا الف دالية والف زيتونة
والف لوزة فاصبحت مصرعة في اشنع منظر فأتوا السائح
فأخبروه بما حدث في البستان وهم لا يشعرون انه هو الفاعل
لجميع ذلك فزجرهم وقال لهم انتم مالي فلا عليكم منه ان
بقي او ذهب فعلموا انه هو الذي فعل ذلك وخشوا الفساد
على الغراس الباقي وتعطيل مصلحة الدير ومنافع انفسهم
فوثبوا عليه واهانوه وضربوه ثم طردوه فخرج من الدير
على الحالة التي دخله عليها بل اشر فلما حصل بظاهر الدير
سرح طرفه فيما كان عمره وغرسه فرأى منظرا رائعا فتنفس
الصعداء تحسرا على ذهاب شبابه وقوته وضيعان عمره فيما
لم يجد عليه طائلا ثم كان عاقبته الى الحرمان الى مزابلته الانسلاخ
منه على حال اهانة وفاقة وضعف وقد قالت الحكماء الدنيا
سبيل تعبر ولا تعمر وممر سالك لا مقر بارك وقالت الدنيا
جسر من عبره باغترار افضى به الى دمار وتبار ودثار وهي
قريب سلبها من سلبها وخطفها من عطفها والعاقل من اهلها
من استعد لحبلها وليس الاستعداد لذلك الا التأهب لبغيها
المكتوم وفراقها المحتوم والاستكثار منها نقيض ذلك
وقالت الحكماء الخروج من الدنيا مما لا تطيب به نفس ولكن
قد تتهيأ رياضة النفس عليه باستشعار الزهد في الفاني
العاجل والاستكثار من العمل النافع في الآجل وقالت الحكماء
التنعم في الدنيا يضاعف حسرة زوالها ويؤكد غصة اغتيالها
ثم ان الراهب السائح عاد الى سياحته فلم يلبث ان هلك قيل
فلما وعى الراعي مقالة الراهب وفهم ما ضرب له من المثل
واستبصر فيما تضمنه من الحكم قال له جزيت من ناصح خيرا
فخذ الآن في التصريح بحالي عندك فقد اديتني كنايتك وها انني

المقبول وجلت عن فطنتي صداء عزني فقال الراهب المراعي
لقد اوضحت لك من غلطك في دعوى ملك ما استرعيته
وائتمنت عليه وكشفت لك ما سترعنك من قبح حملك على نفسك
لغيرها معتاضا عن ذلك اعواضا قليلة واعراضا مستحيلة
فاردد البقر الى ملاكها واعمل في خلاص نفسك من السباع
الضارية والافاعي الجارية والكلاب العاوية والعقبان
المختلسة والشياطين الموسوسة والاشراك الخاتلة والسموم
القاتلة لتنجو من البوار وتعلو الى عالم الانوار قيل فلما انتهى
بابك الى هذه الغاية من امثاله امسك عن القول واطرق
ابوه اترد شيرمفكرا متاملا ما تصرف فيه ولده من المقال
وضربه له من الامثال ثم نهض مضطربا كالمضطرم البلبال
وخرج بابك من فوره فساح ولم يعلم ابن طاح قال المؤلف
عبد الله الفقير اليه الغني به محمد بن ابي محمد بن ظفر رحمه الله
تعالى والحمد لله على ما انهيت بغيه وما اوردت الى نهيه
وانا اعوذ بالله من عذاب الاعذاب كما اعوذ به من حجاب الاعجاب
واستكفيه غول السؤال كما استعفيه من غول الجواب واستدفع
به فساد الخطأ كما استدعيته كساد الصواب واتوب انه
هو الرحيم التواب انتهى وكان تمام طبعه وايناع ثمرة
طلعه على ذمة كل من ملتزميه حضرة العمدة الفاضل والهمام
الكامل الشيخ عبد الهادي الابياري قابله الله بلطفه الساري
وحضرة عمدة الاعيان ونادرة الزمان المستعين بربه القوي
احمد افندي الازهري بتصحيح الشيخ علي بن علي العزي الشهير بالمخللاتي
قابله الله بلطفه في الماضي والآتي وكان ذلك في اوائل
شهر صفر الخير من شهور سنة الف ومائتين وثمانية
وسبعين اتمها الله بخير على جميع المسلمين امين يارب العالمين

وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا
بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا
ومولانا محمد نبي الرحمة وكاشف
الغمة وعلى آله وصحبه
وسلم والحمد
لله وحده
آمين
م

طبع حجر ١٢٧٨